

**الموسوعـة الكنسـية**

**لتفسير العهد الجديد**

**شرح لكل آية**

الجزء الأول

**بشارة متى**

كنيسة مارمرقص القبطية الأرثوذكسية

بمصر الجديدة

الأَصْحَاحُ الأَوَّلُ

نسب المسيح وولادته

(1) نسب المسيح (ع 1-17)

**1- كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم. 2- إبراهيم ولد إسحق، وإسحق ولد يعقوب، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته. 3- ويهوذا ولد فَارِصَ وزَارَحَ من ثامار، وفارصُ ولد حَصْرونَ، وحصـرونُ ولـد أرامَ. 4- وأرامُ ولد عَمِّينادابَ، وعمينادابُ ولد نَحْشُونَ، ونحشونُ ولد سَلْمُونَ. 5- وسلمونُ ولد بُوعَزَ من راحاب، وبوعزُ ولد عُوبِيدَ من راعـوثَ، وعوبيدُ ولد يَسَّى. 6- ويسى ولد داودَ الملكَ، وداودُ الملكُ ولد سليمانَ من التى لأُورِيَّا. 7- وسليمانُ ولد رَحَبْعَامَ، ورحبعامُ ولد أَبِيَّا، وأبيا ولد آسَا. 8- وآسا ولد يَهُوشَافَاطَ، ويهوشافاطُ ولد يُورَامَ، ويورامُ ولد عُزِّيَّا. 9- وعزيا ولد يُوثَامَ، ويوثامُ ولد أَحَـازَ، وأحازُ ولد حِزْقِيَّا. 10- وحزقيا ولد مَنَسَّى، ومنسى ولد آمُونَ، وآمونُ ولد يُوشِيَّا. 11- ويوشيا ولد يَكُنْيَا وإخوته عند سبى بابل. 12- وبعد سبى بابل، يكنيا ولد شَأَلْتِئِيلَ، وشألتئيلُ ولد زَرُبَّابِلَ. 13- وزربابلُ ولد أبيهودَ، وأبيهودُ ولد أَلِيَاقِيمَ، وألياقيمُ ولد عَازُورَ. 14- وعازورُ ولد صادوقَ، وصادوقُ ولد أخيمَ، وأخيمُ ولد أَلِيُودَ. 15- وأليودُ ولد أَلَِيعَازَرَ، وأليعازرُ ولد مَتَّانَ، ومتانُ ولد يعقوبَ. 16- ويعقوبُ ولد يوسفَ رَجُلَ مريمَ التى وُلِدَ منها يسوعُ الذى يُدْعَى المسيحَ. 17- فجميع الأجيال من إبراهيمَ إلى داودَ أربعة عشر جيلا، ومن داودَ إلى سبى بابلَ أربعة عشر جيلا، ومن سبى بابلَ إلى المسيحِ أربعة عشر جيلا.**

ع1: "كتاب ميلاد": أى جدول نسب، وهو مأخوذ من جداول الأنساب التى كان يهتم اليهود بحفظها انتظارا للمسيا الآتى، وقد فُقدت هذه الجداول عند خراب أورشليم عام 70م بيد تيطس قائد الرومان. وقد دبر الله اهتمامهم بهذه الجداول ليكون هذا إثباتا أن المسيح هو ابن داود، فيؤمنوا به.

يوحد فى الكتاب المقدس جدولان بأنساب المسيح، أحدهما فى لوقا (3: 23-38) الذى يكلم الأمم، فيكتب النسب الشرعى، أى الذكور الذين تعتبرهم الشريعة آباءً، فلو مات واحد ولم ينجب، يتزوج أخوه بامرأته، ويُنسَب النسل للذى مات (تث 25: 5-6). فبعض الأبناء المذكورين هم أبناء بالتبنى، ليعلن للأمم أنهم أبناء بالتبنى ولهم الخلاص مثل اليهود.

أما متى (1: 2-17) فلأنه يكلم اليهود، يكتب الآباء الطبيعيين لأنهم شعب الله المتسلسلين من آبائهم الطبيعيين، أى اليهود.

فنرى يوسف خطيب مريم له أب شرعى هو هالى المذكور فى لوقا، الذى مات ولم ينجب. أما يعقـوب المذكور فى متى فهو أبـوه الطبيعى كما يقول القديس ساويرس الأنطاكى. أما يوحنا (1: 1-2) فكتب نسبه الإلهى.

"يسوع المسيح": يسوع هو الاسم الإنسانى للمسيح، ومعناه مخلّص.

أما المسيح فمعناه الممسوح من الله لهذه الخدمة، أى فداء البشرية. وفى العهد القديم كان يُمسح النبى والكاهن والملك، وهذه الثلاثة اجتمعت فى المسيح؛ والممسوح له سلطان من الله ليقوم بعمله.

"ابن داود ابن إبراهيم": وهو داود الملك كما ذكرت النبوات (إش 9: 7)، وابن إبراهيم كما وعده الله (تك 22: 18).

وكان هذا الأمر معروفا عند جميع اليهود أن المسيا المنتظر سيأتى من نسل داود وإبراهيم.

ع2-17:

أ ) يلاحظ فى هذه السلسلة تنازل الأنساب من إبراهيم إلى يسوع، إذ يحمل المسيح خطايا البشرية ويفدينا ويخلّصنا، لأن هذه السلسلة تحمل خطاة كثيرين مثل راحاب الزانية، وثامار التى ارتدت ثوب زانية، وامرأة أوريا التى زنا معها داود. فى حين يرتفع القديس لوقا فى سلسلة أنسابه من يسوع إلى آدم، فهو يرفع البشرية كلها إلى الله، أبو آدم، لأن لوقا يخاطب الأمم.

ب ) يتكلم متى فى سلسلة الأنساب عن الآباء الطبيعيين ليسوع، الذين أُنجِبوا بالتوالد الجسدى، أما لوقا فيذكر الآباء الشرعيين.

حـ) تنتهى سلسلة الأنساب إلى يوسف وليس العذراء، مع أن يوسف لم يلد المسيح جسديا. ولكن اليهود لا بعترفون فى الأنساب إلا بالرجال، فحماية للمسيح أمام المجتمع اليهودى، اعتُبر يوسف أبوه كما أعلمه الملاك (ع20-21).

وفى نفس الوقت، فإن العذراء أيضا هى من نسل داود، إذ عندما أرادوا أن يخرجوها من الهيكل لبلوغها سن الثانية عشر، أحضروا رجالا من نسل داود، فاختار الله يوسف ليكون خطيبا لها.

وهناك رأى آخر، وهو أن لوقا ذكر نسب المسيح من جهة مريم أمه، فيذكر هالى الذى هو والد مريم، ويُسَمَّى أيضا يواقيم، فينسب يوسف إليه، وهذا كان معروفا عند اليهود أنه يمكن أن يُنسَب الرجل إلى حماه.

وعلى أى الأحوال، فإن جدولَىْ نسب المسيح فى إنجيلى متى ولوقا كانا من الجداول المعتمدة عند اليهود، بدليل عدم اعتراضهم عليها.

د ) من جدات المسيح كانت راحاب الكنعانية، وراعوث الموآبية، ليعلن المسيح أنه أتى لخلاص العالم كله، يهودا وأمما.

هـ) يذكر متى الإنجيلى أن سلسلة الأنساب مقسمة إلى ثلاثة أجزاء، كل جزء منها 14 جيلا. ويبدو أن اليهود كانوا يميلون إلى استخدام أرقام معينة للبركة، مثل رقم 7، فرقم 14 هو ضعف رقم 7.

ويبدو أن هذه السلسلة كانت مكتوبة ومعروفة عند اليهود، فرغم أن بها اختصارات حذفتها هذه السلاسل، مثل يورام الملك الذى لم يلد عُزِّيَّا بل أنجب أَخَزْيَا الذى أنجب يوآش، ويوآش أنجب أَمَصْيَا، وأمصيا أنجب عزيا.

فاختصر متى هذه الأسماء ليصل إلى هدفه، وهو أن المسيا من نسل داود وإبراهيم. وإن كانت السلسلة الأولى قد بدأت بإبراهيم، ووصلت إلى داود العظيم، فالسلسلة الثانية تنحدر من الذين فى السبى بسبب خطايا الشعب، ثم ترتفع السلسلة الثالثة لتصل إلى يسوع مخلّص العالم كله.

و ) سـلسلة متى تختلف عن سـلسلة لوقا، وهذا يؤكد أن كلا منهما لم يطّلع على كتاب الآخر، بل كتبه بوحى من الروح القدس بصدق، ليعرفنا بتفاصيل أكثر عن المسيح.

إن كان المسيح لم يستح أن يذكر جدوده الأشـرار والأمميين، فعلينا أن نكرم آباءنا وأقاربنا، حتى لو كانت مكانتهم الاجتماعية قليلة، ونقـدر أتعابهم وفضائلهم. كما لا ننسى أن نسـبنا الأهم هو للمسيح والكنيسـة التى وُلدنا فيها بالمعمودية، فنثق فى أنفسنا وتميُّزنا عمن حولنا بهـذه النعمة العظيمة، ولا نحتقر أحدا له نسب وضيع، فقد يكون أفضل منا فى نظر الله وسـيكون له مكانة أكبر فى السـماء. لنحترم ونكـرم كل إنسـان ونبحث عن فضائله لنستفد منها.

**(2) حلم يوسف الأول وولادة المسيح (ع 18-25):**

- **أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا: لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف، قبل أن يجتمعا، وُجدت حُبْلَى من الروح القدس. 19- فيوسف رجلها، إذ كان بارا، ولم يشأ أن يُشْهِرَهَا، أراد تخليتها سرا. 20- ولكن، فيما هو متفكر فى هذه الأمور، إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا: "يا يوسف ابن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك، لأن الذى حُبِلَ به فيها هو من الروح القدس. 21- فستلد ابنا، وتدعو اسمه يسـوعَ، لأنه يخلّص شـعبه من خطاياهم." 22- وهـذا كله كان، لكى يتم ما قيـل من الرب بالنبى القائـل: 23- هوذا العـذراء تحبل وتلد ابنا، ويدعون اسمه عِمَّانُوئِيلَ، الذى تفسيره الله معنا. 24- فلما استيقظ يوسف من النوم، فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته. 25- ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر، ودعا اسمه يسوع.**

ع18: "مخطوبة": أى مرتبطة برجل، حتى أنها عندما تنجب يسوع يكون منسوبا لرجل، وهو يوسف، أمام المجتمع اليهودى ولا تُعَدُّ زانية.

كانت الخطوبة عند اليهود تعنى عقد زواج، وتُسمى الخطيبة امرأة الخطيب، ولكن بعد فترة الخطوبة تتم المعاشرة الجسدبة، كما يحدث الآن عند الإخوة المسلمين فى كتب الكتاب ثم الدخلة. فبعد إتمام الخِطبة، عند استلام يوسف لمريم من الهيكل، أخذها إلى بيته وحفظها كخطيبة فى طهارة ولم يقترب إليها. ولكنه فوجئ بها حُبلَى قبل أن يتم الزواج، فانزعج، واحتار بين براءتها والحبَل الذى يراه بعينيه. وقول متى: **"قبل أن يجتمعا"،** أى أثناء الخطوبة، لا يعنى مطلقا أنهما اجتمعا بعد ذلك، فالعذراء دائمة البتولية.

ع19: كان أمام يوسف أن يسلم مريم للكهنة فيرجمونها، أو يطلقها ويخرجها من بيته سرا دون فضائح. ولأنه بار، أراد أن يستر عليها، ويتركها تمضى دون عقاب حتى لا يكون مشاركا فى جريمة التستر على خطية.

على قدر ما تكون محبا لله، تظهر محبتك لمن حولك حتى لو كانوا مخطئين فى نظرك، فلا تدينهم بل تستّر عليهم، لأن "المحبة تستر كل الذنوب" (أم 10: 12). وكما يستر الله عليك، كن أنت أيضا رحيما مع الآخرين.

ع20-21: "يا يوسف ابن داود": ليذكّره الملاك بنسبه إلى داود الذى سيأتى منه المسيح.

لأن يوسف رجل بار يفهم بسرعة إعلانات الله، ظهر له ملاك فى حلم، وأعلمه حقيقة حبل العذراء بأنه من الروح القدس وليس من إنسان، وشجعه على أن يأخذها، أى يبقيها فى منزله، ويرعاها هى ومولودها، بل وأعلمه اسم المولود، وهو يسوع ومعناه مخلّص، لأنه يخلّص المؤمنين به من خطاياهم.

"يخلّص شعبه من خطاياهم": فهو مخلّص، ليس من الاحتلال الرومانى كما ظن اليهود، بل مخلّص روحى يرفعهم من خطاياهم ليحيوا فى البر.

إن كنت محتارا بين أمرين صعبين، فالله قادر أن يرشدك إلى الحل الأفضل، كما أرشد الملاك يوسف، إذا صليت له.

ع22-23: يذكّرنا متى بنبوة إشعياء (7: 14)، فهذا كلام متى وليس الملاك، فيحدثنا عن حبل العذراء التى هى مريم، ويفسر لنا معنى "عِمَّانُوئِيلَ" أى أن الله يتجسد ويصير بشرا بيننا، ويفدينا ويكون معنا ويسكن فينا.

إن كان الله يعلن اسمه عمانوئيل، أى الله معنا، فهو فى حبه يريد أن يقترب إلينا، ويكون معنا ليخلّصنا من كل خطايانا ومتاعبنا.

ع24: يظهر بر يوسف فى طاعته لله، إذ رفض فكرته الأولى، وهى أن يخرجها من بيته، بل وأعلن مسئوليته عنها، وآمن بكلام الله رغم أنه فوق الإدراك العقلى.

ع25: اهتم يوسف برعاية العذراء حتى ولدت الطفل، وأسماه يسوع كما أعلنه الملاك، وظل يهتم بها طوال حياته.

وعندما يذكر متى أنه "لم يعرفها حتى ولدت"، فليس معنى هذا أنه عرفها بعد ذلك، ولكن تعنى أنه لم يقترب إليها جسديا، بل رعاها كأب. وكلمة "حتى" تأتى بهذا المعنى فى أماكن كثيرة من الكتاب المقدس، فكما يقول المزمور: "عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يترأَّف علينا" (123: 2)، ليس معناه أنه بعدما يترأَّف علينا لا نرفع أعيننا نحوه.

كذلك عندما أرسل نوح الغراب من الفُلك، يقول الكتاب المقدس: "فخرج مترددا حتى نشفت المياه عن الأرض" (تك 8: 7)، فليس معنى كلمة "حتى" أنه بعدما نشفت الأرض عاد الغراب إلى الفُلك، بل استمر فى الأرض.

ونُعت يسوع بـ " البكر"، ليس لأن العذراء ولدت بعده أبناء آخرين، ولكن أول مولود ينعت بالبكر حتى لو لم يولد أحد بعده.

وبالاستنتاج المنطقى، إنه لا يمكن ليوسف البار الذى اختاره الله لهذه المهمة المقدسة، أن يدنس الرحم الذى قدّسه الروح القدس.



**الأَصْحَاحُ الثَّانِى**

**زيارة المجوس الهرب إلى مصر والعودة إلى الناصرة**

**(1) مجىء المجوس (ع 1-6):**

1**- ولما وُلِدَ يسوع فى بيت لحم اليهودية، فى أيام هيرودس الملك، إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشـليم. 2- قائلين: "أين هو المولود ملك اليهود؟ فإننا رأينا نجمه فى المشـرق، وأتينا لنسجد له." 3- فلما سمع هيرودس الملك، اضطرب وجميع أورشليم معه. 4- فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب، وسألهم: "أين يولد المسيح؟" 5- فقالوا له: "فى بيت لحم اليهودية، لأنه هكذا مكتوب بالنبى. 6- وأنت يا بيت لحم، أرض يهوذا، لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل."**

ع1-2: المجوس هم المنجمون الذين كانوا يهتمون يدراسة الطب والفلك، وكانوا علماء فى بلادهم، ويُعتبَرون كهنة أيضا، ولهم مكانة عظيمة تبيِّنها هداياهم. وقد أتوا من المشرق، غالبا من فارس أو العراق، ولم يُذكَر عددهم لكن على الأقل كان فيهم ثلاثة متقدمون، وقد يكون تابعا لهم عدد كبير؛ وكانوا قد سمعوا نبوات من أجدادهم عن ظهور نجم يشير إلى ميلاد ملك عظيم. وقد قال بَلْعَامُ ابن بَعور النبى ذلك، وهو من المشرق حيث يسكنون: "أراه، ولكن ليس الآن. أبصره، ولكن ليس قريبا. يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفى موآب ويهلك كل بني الوغى" (عد 24: 17). وقد يكونوا فهموا هذا من دانيال الذى كان رئيسا للمجوس، من نبوته عن ميلاد المسيح: "فاعلم وافهم أنه من خروج الأمـر لتجديد أورشـليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا يعود ويُبْنَى سوق وخليج فى ضيق الأزمنة" (9: 25).

والنجم الذى رأوه لم يكن نجما عاديا، فهو إما ملاك ظهر بشكل نجم، أو نجم خاص روحى أرسله الله، ويظهر هذا مما يأتى:

أ ) النجوم تتحرك من الغرب إلى الشرق، أما هذا فمن الشرق إلى الغرب.

ب ) هذا النجم يظهر فى النهار والشمس ساطعة، وليس فى الليل فقط.

حـ) كان يظهر أحيانا ويختفى أحيانا أخرى (كما حدث عند سؤالهم هيرودس).

د ) كان يسير مرتفعا فى السماء، ثم ينزل فوق منزل حقير حيث وُلد المسيح.

فلما وصل النجم بهم من المشرق حتى أورشليم، تأكدوا من النبوات، وأنه ملك اليهود، وظنوا أنه يولد فى القصر الملكى، فسألوا مَن فى القصر.

ع3: هيرودس هذا هو المسمى هيرودس الكبير، وهو من أصل أدومى، ودخيل على اليهود، وقد اغتصب المُلك. واتصف بالعنف، فقتل زوجته وبعض أولاده، وكان عمره حينذاك سبعين عاما، فخاف من المَلك الجديد. وسرى الخبر فى القصر وكل أورشليم، فاضطربوا متحيّرين ماذا يحيط بميلاد الملك الجديد، وهل يمكن أن تحدث صراعات بينه وبين هيرودس؟!

و هيرودس هذا هو والد هيرودس أنتيباس الذى قتل يوحنا المعمدان، وجد هيرودس الذى قتل يعقوب بن زَبَْدِى وسجن بطرس.

ع4: فهم هيرودس أنهم يتحدثون عن المسيا المنتظر، وخاف أن ينتزع منه المُلك، فجمع رؤساء الكهنة، أى الرئيس الحالى والرؤساء السابقين، وكل رؤساء فرق الكهنة، وكتبة الناموس الدارسين له، ليُعلموه أين يولد المسيح حتى يستطيع قتله.

مهما كانت عظمة وسلطان الإنسان، لا يستطيع أن يحتفظ بسلامه، ما دام فى الخطية بعيدا عن الله، فالسلام لا يتمتع به إلا أولاد الله.

ع5-6: "بيت لحم": هى قرية صغيرة جنوب غرب أورشليم، تبعد عنها حوالى 8 كم، وتسمى أيضا أفراتة (مى 5: 2)، أو مدينة داود لأنه وُلد فيها (لو 2: 4)، وتنبأ عنها ميخا النبى (5: 2)، وهى فى اليهودية تمييزا لها عن مدينة أخرى تسمى بيت لحم فى الجليل، وواضح من النبوة أنها صغيرة وحقيرة، ولكنها صارت عظيمة جدا بميلاد المسيح فيها.

لاحظ كيف لم يهتم الكهنة ورؤساؤهم بالبحث عن المسيا المنتظر، الذى تكلم عنه الأنبياء، وأشارت إليه الرموز، لانشغالهم بمراكزهم وأموالهم. بينما بحث الأمم، والبعيدون عنه فى شكل المجوس المسافرين من بلاد بعيدة، ليؤكد الكتاب المقدس أن المسيح قد أتى لخلاص العالم كله، وهو يجذب إليه كل إنسان بالطريقة التى تناسبه (اليهود بالنبوات، والمجوس بالنجم لأنهم علماء فلك)؛ المهم أن يتجاوب الإنسان مع صوت الله.

فمهما كنت ضعيفا أو حقيرا، تتحول إلى أعظم إنسان بسكنى المسيح فى قلبك.

**(2) سجود المجوس للمسيح (ع 7-12):**

**7- حينئذ، دعا هيرودس المجوس سرا، وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر. 8- ثم أرسلهم إلى بيت لحم، وقال: "اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبى، ومتى وجدتموه، فأخبرونى لكى آتى أنا أيضا وأسجد له." 9- فلما سمعوا من الملك، ذهبوا. وإذا النجم، الذى رأوه فى المشرق، يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبى. 10- فلما رأوا النجم، فرحوا فرحا عظيما جدا. 11- وأتوا إلى البيت، ورأوا الصبى مع مريم أمه، فخرّوا وسـجدوا له. ثم فتحـوا كنوزهـم، وقدمـوا له هدايا، ذهبا ولبانا ومرا. 12- ثم، إذ أوحى إليهم فى حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس، انصرفوا فى طريق أخرى إلى كورتهم.**

ع7: بعد أن علم هيرودس بمكان ميلاد المسيح، سأل المجوس عن ميعاد ظهور النجم لهم فى بلادهم، وحَسَبَ الوقت حتى وصولهم من فارس إلى اليهودية، فكان أكثر من عام، وذلك ليعرف سن الملك الجديد.

"سرا": لأنه يشعر بشرّه إذ ينوى قتل المسيح، حتى لا تنكشف خطته فى قتل أطفال بيت لحم التي سيفاجئ بها اليهود.

ع8: أخفى هيرودس قساوته فى قلبه ورغبته فى أن يقتل الملك الجديد، وأظهر نفسه فى براءة للمجوس، كأنه يريد أن يسجد مثلهم له، فطلب منهم أن يعرفوا المكان بالتدقيق ثم يخبروه. ويبدو أنه، من اضطرابه، لم يرسل وراءهم أحدا ليعرف مكان المولود.

ع9-10: اعتمد المجوس على منطقهم، فسألوا فى القصر الملكى حيث ظنوا أن الملك الجديد يولد، ولم يرشدهم أحد، ثم خرجوا فوجدوا أن النجم قد اختفى عنهم. وبعدما فشلوا فى معرفة مكانه، ظهر لهم النجم الإلهى ففرحوا جدا، وقادهم إلى بيت لحم ثم إلى البيت الذى ولد فيه المسيح.

تمسك بوصايا الله لتهديك فى طريق حياتك، وكذا إرشادات أب اعترافك فوق كل أفكارك ومنطقك، حتى لا تضل عن المسيح.

فلا تتعطل بمشاغل العالم ومنطقه عن هدفك وهو محبة الله، وقدر تمسكك بوصايا الله سيظل يرشدك، ولكن إن أهملته ستحتار وتسأل: كيف أسمع صوت الله؟.

ع11: عندما رأوا الطفل يسوع مع أمه العذراء ويوسف النجار، شعروا بخشوع عظيم، وسجدوا له وقلوبهم ممتلئة فرحا، ثم قدموا له هداياهم وهى الذهب واللبان والمر، وهى تشير إلى وظائف المسيح، فالذهب لأنه ملك، واللبان، أى البخور، لأنه كاهن بذبيحة نفسه على الصليب، والمر إشارة إلى آلامه وموته. ولعل هذه الهدايا كانت معينة للعائلة المقدسة فى تكاليف الرحلة إلى مصر فى بعض نفقاتها.

وتظهر هنا عظمة إيمان المجوس بالمسيح أنه كان فى صورة حقيرة، وكذلك لاحظوا عدم اهتمام اليهود بتمجيد ملكهم، ولكنهم آمنوا بحسب إرشاد الله لهم بالنجم.

ع12: لم يفهم المجوس قصد هيرودس الشرير، ولكن الله بعد زيارتهم للمسيح، أعلمهم فى حلم ألا يرجعوا إلى هيرودس لأنه شرير، وهداهم إلى طريق آخر عادوا منه إلى بلادهم. ويبدو أن هذا الحلم أتاهم بعد رؤية المسيح مباشرة ليسرعوا فى الرحيل إلى بلادهم، قبل أن ينتبه هيرودس وينفذ خطة قتله لأطفال بيت لحم.

إن كنت قد تمتعت بالجلوس مع المسيح، فلا تعد إلى هيرودس الشرير، أى شرورك الأولى، بل عد إلى بلدك الأول وهو الفردوس حيث خُلق آدم قديما، أى ارفع قلبك للسماء مستمرا فى علاقة روحية مع الله.

**(3) حلم يوسف الثانى (ع 13-15):**

13**- وبعدما انصرفوا، إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم، قائلا: "قم، وخذ الصبى وأمه واهـرب إلى مصر، وكن هنـاك حتى أقـول لك، لأن هيرودس مزمـع أن يطلب الصبى ليهلكه." 14- فقام وأخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف إلى مصر. 15- وكان هناك إلى وفاة هيرودس، لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل: من مصر دعوت ابنى.**

ع13: أعلم المجوس العائلة المقدسة بما قاله الله لهم فى الحلم، ففهموا أن هيرودس يبحث عن يسوع ليؤذيه، ولكنهم لم يضطربوا، وانتظروا إرشاد الله. ثم تظهر عناية الله بهم واستهزائه بهيرودس الشرير، فظهر ملاك الله فى حلم ليوسف للمرة الثانية، وطلب منه أن يأخذ الطفل يسوع وأمه مريم ويهرب بهما إلى مصر، ويكون هناك حتى يقول له.

ومصر هى أقرب مكان لليهودية وليست تحت سلطان هيرودس.

وبهذا، يعلن لنا الله أمورا أساسية فى سلوكنا الروحى، وهى:

أ ) ضرورة احتمال الآلام ليتزكى الإنسان، فكم كان صعبا على العجوز يوسف والشابة الصغيرة مريم والطفل يسوع أن يتحملوا مشاق السفر والإقامة فى بلد غريب.

ب ) تأكيد تجسد المسيح، واحتماله كل معاناة البشر منذ طفولته، غير مستخدم لقوة لاهوته ليريح نفسه.

حـ) عدم مقاومة الشر، بل الهروب منه.

د ) مباركة مصر لتكون مركزا للعمل الروحى على مدى الأجيال بعلمائها ورهبانها وقديسيها.

ع14: أطاع يوسف النجار كلام الملاك، غير معتذر بسبب شيخوخته، أو صغر الطفل، أو عدم معرفته بمصر، وقام ليلا للسفر إليها.

"ليلا": غالبا فى نفس الليلة التى رأى فيها الحلم، ليسرع فى الهرب قبل إتمام خطة هيرودس، ولأنه كان غريبا لم يكن معه حاجيات كثيرة تحتاج لإعدادها عند السفر، كذلك لم يلتفت إليه أحد فهو ليس من أهل المكان.

ع15: تحركت العائلة المقدسة إلى مصر، ومرت بأماكن كثيرة وباركتها، ومكثت هناك حوالى سنتين حتى مات هيرودس، وبذلك تمت نبوة هوشع النبى فى عودة المسيا إلى أرض إسرائيل: "من مصر دعوت ابنى" (11: 1)، وكانت هذه النبوة عن خروج بنى إسرائيل من مصر، وكذا عن رجوع المسيح من مصر إلى بلاد اليهود.

**(4) قتل أطفال بيت لحم (ع 16-18):**

16**- حينئذ، لما رأى هيرودس أن المجوس سخروا به، غضب جدا، فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحـم وفى كل تخومهـا، من ابن سـنتين فما دون، بحسب الزمـان الذى تحققه من المجوس. 17- حينئذ، تم ما قيل بإرميا النبى القائل: 18- "صوت سمع فى الرامة، نوح وبكاء وعويل كثير، راحيل تبكى على أولادها، ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين."**

ع16: غضب هيرودس جدا بسبب عدم طاعة المجوس له واعتبرها إهانة عظيمة، وازداد خوفه من الملك الجديد، فقرر فى قسوة قلب أن يقتل كل أطفال بيت لحم الذين منهم الملك الجديد. ولكيما يضمن قتله، طلب من الجنود محاصـرة المكان، فلا ينجـو أحد من كل تخـوم (حدود) بيت لحم.

وبحسب توقعاته لعمر الملك الجديد أن يكون حوالى سنة أو أكثر، طلب أن يُقتَل كل الأطفال حتى سن سنتين ليضمن التخلص منه، لئلا يخطئ العسكر فى تقدير سن الأطفال، وكذلك أمر بقتل كل من حول بيت لحم، وكذا من هم أكبر من سن الطفل ليكون قد قضى عليه، وهذا يُظهر وحشية هيرودس.

ع17-18: وتحققت بهذا نبوة إرميا السابق الإشارة إليها فى (ع8)، والتى تعبر عما حدث أثناء السبى، وأيضا ما حدث فى مذبحة بيت لحم، حيث انتشر الخبر فى كل أورشليم وما حولها، إذ أن مدينة الرامة تقع شمال أورشليم، فسمعوا ببكاء وصراخ الأمهات اليهوديات (اللاتى يُرمَز لهن براحيل) لفقد أطفالهن. وأيضا راحيل زوجة يعقوب المدفونة فى بيت لحم بكت أولا على من قُتِلوا أيام سبى بابل، وتبكى أيضا على الأطفال المقتولين أيام هيرودس. كل هذا رمز للحزن الذى ساد، ليس فقط بيت لحم، بل كل البلاد المحيطة بأورشليم.

إن قسـوة القلب تجعل الإنسـان لا يشعر بمن حوله، فيسىء إليهم وهو منهمـك فى تحقيق أغراضه. فليتك تضع نفسك مكان الآخرين لتشعر بهم، ولا يكون تحقيق أغراضك على حساب راحة الناس، بل ليتك تبحث عن راحتهم قبل راحتك كما فعل المسيح حين مات لأجل فدائنا وخلاصنا.

**(5) العودة إلى الناصرة (ع 19-23):**

19**- فلما مـات هيرودس، إذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر. 20- قائلا: "قم، وخذ الصبى وأمه، واذهب إلى أرض إسرائيل، لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى." 21- فقـام، وأخـذ الصبى وأمـه، وجـاء إلى أرض إسرائيل. 22- ولكن، لما سمع أن أرخيلاوس يملك على اليهودية عوضا عن هيرودس أبيه، خاف أن يذهب إلى هناك. وإذ أوحى إليه فى حلم، انصـرف إلى نواحى الجليل. 23- وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة، لكى يتم ما قيل بالأنبياء: إنه سيدعى ناصريا.**

ع19-20: بعد أن ظلت العائلة المقدسة حوالى سنتين فى مصر، منتظرة سماح الله لها بالرجوع إلى أرض إسرائيل، ظهر الملاك ليوسف للمرة الثالثة وأعلمه بموت هيرودس وابنه أنتيباتر اللذين كانا يريدان قتل يسوع (لأن هيرودس قتل ابنه قبل أن يموت بخمسة أيام بعد أن أكمل 37 عاما فى الملك، وكان ذلك عام 4 ق.م.)، وأمر الملاك يوسف بالرجوع.

ع21: أطاع يوسف، ولم يطلب أن يظل بمصر معتذرا بشيخوخته أو الابتعاد عن الأشرار فى اليهودية، ففضيلة الطاعة تعلو فوق كل منطق، ليقود الله حياة من يطيعه.

ع22: عندما وصل يوسف إلى مشارف أرض إسرائيل، سمع أن أرخيلاوس ابن هيرودس قد مَلَكَ عوضا عنه، وقد كان مشهورا بالقسوة مثل أبيه، فخاف أن يعود إلى بيت لحم بجوار أورشليم، حيث كان يظن أنها مكان مناسب لسكنى المسيح قريبا من الهيكل وكهنة اليهود.

وسأل الله ماذا يعمل؟ فـ "أوحى إليه فى حلم"، ربما بواسطة ملاك كالمرات السابقة، بالذهاب إلى الجليل، وهو فى شمال أرض إسرائيل، حيث يملك هيرودس أنتيباس شقيق أرخيلاوس، وكانت بينهما مشاكل، بالإضافة إلى اتصافه باللطف.

ع23: عندما وصل إلى الجليل، ذهب إلى مدينة الناصرة، حيث كان يسكن أولا، فهى موطنه الأصلى، وبهذا تتم نبوات الأنبياء أنه سيدعى ناصريا.

وكلمة "ناصرة" معناها غصن، وقد تنبأ إشعياء وإرميا وزكريا أن المسيح سيدعى الغصن (إش 11: 1-2؛ إر 33: 15؛ زك 3: 8)، وهذه هى المرة الخامسة التى يستشهد فيها القديس متى بالنبوات.

وعاش يسوع فى الناصرة حوالى 28 عاما حتى بلغ سن الثلاثين، وكان يعمل مع يوسف النجار فى النجارة. ولم يُذكَر كثيرا عن هذه الفترة إلا أنه كان مطيعا لأمه ويوسف، وكان ينمو فى القامة والنعمة، وكان يزور أورشليم فى الأعياد لتتميم العبادة بحسب الشريعة.

إن الله يقود حياتك، فلا تنزعج من الأشرار مهما هددوك، فهيرودس وأنتيباتر ابنه قد ماتا،وأرخيلاوس أبعد الله مسيحه عنه حين سكن فى الجليل. فقوة الأشرار بلا قيمة أمام الله، فاسلك بهدوء وطمأنينة منشغلا بالله وهو يحميك من كل شر.

**الأَصْحَاحُ الثَّالِثُ**

**بشارة المعمدان وتعميده للمسيح**

**(1) شخصية يوحنا المعمدان (ع 1-6):**

**1- وفى تلك الأيام، جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية. 2- قائلا: "توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السماوات." 3- فإن هذا هو الذى قيل عنه بإشعياء النبى القائل: "صوت صارخ فى البرية، أعدوا طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة." 4- ويوحنا هذا، كان لباسه من وبر الإبل، وعلى حَقْوَيْهِ مِنْطَقَةٌ من جلد، وكان طعامه جرادا وعسلا بريا. 5- حينئذ، خرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن. 6- واعتمدوا منه فى الأردن، معترفين بخطاياهم.**

ع1: "فى تلك الأيام": أى عندما اقترب المسيح من سن الثلاثين، وبالتحديد قبله بستة أشهر ظهر يوحنا المعمدان الذى كان يكبره بستة أشهر.

"يوحنا المعمدان": هو يوحنا ابن زكريا الكاهن الذى اشتهر بتعميد اليهود، فسُمّى بالمعمدان، والذى عاش حوالى ثلاثين عاما فى البرية فى حياة النسك، كمثال للرهبنة فى العهد القديم ومحبة الصلاة والوحدة. وكانت هذه فترة روحية يعد بها لأعظم خدمة، وهى تهيئة الطريق لبشارة المسيح وفدائه.

"يكرز": بدأ تبشيره بعد سكون ثلاثين عاما، ونادى الشعب بالتوبة والرجوع لله.

"برية اليهودية": تقع شرق أورشليم قرب بحر لوط.

ع2: كانت كرازته بالتوبة، أى تنقية القلب من الخطية، وتغيير الاتجاه من الشر إلى الحياة مع الله.

"اقترب": لأنه بعد ستة أشهر ستبدأ كرازة المسيح الذى يملك على القلوب ملكا سماويا.

وكان تحذيره واضحا وهو اقتراب ملكوت السماوات، أى مُلك المسيح على القلوب، وهو مُلك سماوى روحى، وليس أرضيا كما يتوهم اليهود، لينقذهم من قسوة الرومان.

كان يكرز بملكوت الله على القلب، حتى يتأهل الإنسان لسكنى السماء، ويملك مع الله إلى الأبد، ولا يمكن أن يملك الله على القلب المتمسك بالخطية، الرافض التوبة.

ع3: فى هذا العدد يستشهد متى الإنجيلى، الذى يخاطب اليهود، بنبوة إشعياء المشهور والمعروف عند اليهود، ليؤكد إعداد طريق المسيا المرتقب (40: 3). وقد ذكر عن يوحنا أنه "صوت" تمييزا له عن المسيح الذى هو الكلمة نفسها. وكان فى تبشيره قويا كمن يصرخ وينادى يإعداد طريق الله فى القلب، أى بالتوبة، وما ينتج عنها من سلوك حسن.

"أعدوا طريق الرب": لإزالة الحواجز، كما كان ينادى المنادى تهيئةً لمرور ملك أو عظيم، ويقصد هنا إزالة الخطايا والكبرياء من القلب.

"اصنعوا سبله مستقيمة": بالبعد عن الرياء والشر، أى إصلاح المعوجات، فيكون القلب مستقيما ليمر الله فيه ويملأه بسهولة.

ع4: يصف الحياة الزاهدة التى عاشها يوحنا المعمدان، فكان لباسه من وبر الجمال الخشن، وليس الثياب الناعمة. أما المِنْطَقَةُ التى كان يلبسها على حَقْوَيْهِ، أى وسطه وبطنه، فكانت من الجلد، وليست الغالية المزينة.

أما طعامه، فكان من الجراد، وهو الحشرة المعروفة، وهناك رأى آخر أنه نبات برّى، بالإضافة إلى العسل الذى يصنعه النحل فى شقوق الصخور.

ومعنى هذا أنه كان يكتفى باللباس والقوت الضرورى، لأن انشغال قلبه كان بالسمائيات وخدمة الله. وهو صورة للحياة الرهبانية فى العهد القديم، مثل إيليا النبى.

ع5: نظرا لعمق وروحانية كرازة يوحنا، وتأثيرها الشديد على القلوب، خرج إليه معظم سكان أورشليم، بل وكل منطقة اليهودية وكل البلاد المحيطة بنهر الأردن؛ وقد قال "كل" إشارة إلى الأغلبية.

وواضح أن معمودية التوبة هى تمهيد لمعمودية العهد الجديد. وهذا ما يتم الآن، حينما يعترف الإنسان بخطاياه، إذا كان كبير السن، قبل أن ينال سر المعمودية.

ع6: وإذ تأثروا بعظاته، تقدموا ليعتمدوا، كل واحد منهم، فى نهر الأردن، معترفا بخطاياه. فكانت هذه معمودية توبة، وإشارة واضحة لسر الاعتراف على يد الكاهن فى العهد الجديد.

وقد كانت المعمودية معروفة عند اليهود، إذ كانوا يعمدون اليهود الدخلاء عندما ينضمون إليهم. لذا كان العماد مألوفا لديهم، ولكن الإضافة هنا هى التوبة والاعتراف.

أما معمودية العهد الجديد، فتختلف عن معمودية يوحنا، أنها بالروح القدس، لتغيير الطبيعة البشرية، فتصير نقية من كل خطية.

وواضح أن معمودية التوبة هى تمهيد لمعمودية العهد الجديد. وهذا ما يتم الآن، حينما يعترف الإنسان بخطاياه، إذا كان كبير السن، قبل أن ينال سر المعمودية.

إن التوبة هى طريقك لإعداد قلبك حتى يسكن فيه المسيح. فلا تهمل أصوات الله الصارخة إليك بالتوبة من خلال الكتاب المقدس وتعاليم الكنيسة، بل أيضا من المحيطين بك وعتابهم لك، فتسرع للتوبة أمام الله كل يوم، ثم على يد الكاهن لتنال غفران خطاياك.

**(2) تهيئة الطريق (ع 7-12):**

**7- فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته، قال لهم: "يا أولاد الأفاعى، من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى؟ 8- فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة. 9- ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسـكم: لنا إبراهيم أبا، لأنى أقـول لكم: إن الله قادر أن يقيم من هـذه الحجارة أولادا لإبراهيم. 10- والآن، قد وُضعت الفأس على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا، تُقطع وتُلقى فى النار. 11- أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذى يأتى بعدى، هو أقوى منى، الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. 12- الذى رَفْشُهُ فى يده، وسينقى بيدره، ويجمع قمحه إلى المخزن؛ وأما التبن، فيحرقه بنار لا تُطفأ."**

ع7: الفرّيسيون: هم جماعة ظهرت فى القرن الثانى قبل الميلاد فى المجتمع اليهودى، متمسكة بالناموس حرفيا، وكانوا يُعتبرون قادة الفكر اليهودى، ومعنى اسمهم المفرَزون، أى المختارون من الله. وكانوا يثقون ببرهم، فيقولون: إن دخل السماء اثنان، فعلى الأقل أحدهما فرّيسى.

الصدّوقيون: جماعة تعترض على سلطة الفرّيسيين، وينكرون الحياة الأبدية والأرواح. وهم يشاركون الفريسيين فى القيادة الروحية لليهود، ويُعتبروا الطبقة الأرستقراطية الغنية، وهم نسل صادوق الكاهن.

وقد أتوا إلى يوحنا ليس للتوبة، بل للتعرف على يوحنا الذى اجتذب الجموع من ورائهم. ولعلهم كانوا يطلبون مكانا قياديا وراء هذا الزعيم الجديد الذى خرج إليه كل اليهود.

وكان يوحنا المعمدان قويا، وواجههم بالتواء قلوبهم، إذ مظهرهم يطلبون التوبة، وداخلهم بعيد عنها، فوبّخهم واصفا إياهم بـ "أولاد الأفاعى"، وهو نوع من الثعابين يتصف بشدة الحيلة والمكر، كما أن أجنتها تأكل بطن أمها وتميتها لتخرج إلى الحياة؛ أى وصفهم بالأنانية وقسوة القلب.

"الغضب الآتى": أى دينونة الله فى اليوم الأخير الذى لابد أن يقفوا فيه أمامه، وتعجب من إهمالهم التوبة والاستعداد للأبدية، مع أنهم معلمو اليهود، بقوله: "من أراكم".

ع8: يدعوهم يوحنا لإثبات توبتهم، بأن يعملوا أعمال التوبة، أى ترك الخطية وعمل الصلاح، فبدون الثمر مهما تكلموا عن التوبة لا يفيدهم شئ، وكذلك معموديتهم تكون بلا نفع لهم.

ع9: يوبخهم أيضا على كبريائهم، إذ ظنوا أنهم بانتسابهم الجدى إلى إبراهيم صاحب الوعود سينالون المواعيد. ولكن الله يطلب من يسلك فى بر إبراهيم، ليكون ابنا حقيقيا له.

"هذه الحجارة": ويشير إلى حجارة كانت موجودة أمامه. فكما خلق الله آدم من تراب، فهو قادر أيضا أن يخلق أولادا لإبراهيم من الحجارة.

ويقصد أيضا أن الله قادر أن يقيم أبناء لإبراهيم من الحجارة، أى قلوب الأمم الحجرية القاسية، التى تعبد الأصنام الحجرية الذين إذا آمنوا وسلكوا فى البر، يصيرون أبناء حقيقيين لإبراهيم.

لا تتكل على كونك مسيحى، بل تب واعمل الخير، لتتمتع برعاية الله وملكوت السماوات. فالاسم يدينـك إن لم تحيـا به، وكـذا كرامة عائلتك وقرابتـك لأناس روحيين لا تفيدك، بل تدعوك للتمثل بهم، فتعيش حياة التوبة، وتصنع خيرا مثل مسيحك.

ع10: هذه "الفأس" هى الصليب الخشبى، أو كلمة الله التى تدين كل من لا يؤمن، وتقطعه من أصله وتهلكه، لأنه لم يؤمن بالمسيح المخلّص.

ووضع الفأس معناه قرب الدينونة، فلابد من التوبة وتقديم دليلها، وهو ثمار البر، وإن لم يقدم الإنسان الثمر، فلا ينتظر إلا النار الأبدية.

ع11: يفرق يوحنا بين المعمودية التى للتوبة ومعمودية المسيح، الله الكلمة، التى بالروح القدس، لتجديد الطبيعة الإنسانية، وإن كان هو قائد معمودية التوبة، لكنه، بالنسبة للمسيح، لا يستحق أن يكون أصغر عبد عنده، الذى يوكل إليه حمل الحذاء.

ويظهر من هذا اتضـاع المعمـدان، فرغم أنه كان أقـوى الأنبيـاء، لكنه أنكر نفسـه معطيا المجد للمسيح.

"الروح القدس ونار": يقصد معمودية الروح القدس التى تجدد الطبيعة، والنار تحرق الشر والطبيعة المائلة للخطية لتجديد الإنسان للحياة مع الله.

ع12: يعلن يوحنا المعمدان فى النهاية المسيح الديّان، ويشبّهه بالفلاح الذى يفصل الحبوب عن القش بعد عملية الدراس، مستخدما فى ذلك الرفش، أى المذراة وهى ساق لها أصابع خشبية تُرفع بها الحبوب المختلطة بالتبن، فتسقط الحبوب سريعا، أما القش أو التبن، فيطير ويسقط بعيدا. وبهذا تُجمع الحبوب وحدها، والتبن وحده، ويتم ذلك فى مكان متسع بجوار الحقل يسمى البيدر أو الجرن. ثم تُجمع الحبوب فى جوالات وتوضع فى المخزن، أما التبن فيُحرق بالنار لعدم الحاجة إليه.

الرفش: هى كلمة الله، أو الصليب الذى يدين به الله غير المؤمنين وغير التائبين.

البيدر: هو نهاية العالم، ويوم الدينونة.

المخزن: هو ملكوت السماوات أو الكنيسة.

النار: هى العذاب الأبدى.

التبن: هم الأشرار.

القمح: هم المؤمنـون الذين سيتمجَّدون مع المسـيح فى السـماوات، ويقـول عنهـم "قمحه"، أى المرتبطـين به ويظلـوا معه فى الملكـوت، بعكس التبن، أى الأشـرار، فلا يقـول "تبنه" لأنهم انفصلوا عنه.

**(3) عماد المسيح (ع 13-17):**

**13- حينئذ، جاء يسوع من الجليل إلى الأردن، إلى يوحنا، ليعتمد منه. 14- ولكن يوحنا منعه، قائلا: "أنا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتى إلىَّ؟!" 15- فأجاب يسوع وقال له: "اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نُكَمِّلَ كل بر." حينئذ سمح له. 16- فلما اعتمد يسوع، صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلا مثل حمامة، وآتيا عليه. 17- وصوت من السماوات قائلا: "هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت."**

ع13: عاش المسيح طفولته وشبابه حتى سن الثلاثين فى الناصرة ومنطقة الجليل، ثم اتجه جنوبا إلى اليهودية عند نهر الأردن، حيث اجتمعت الجموع حول يوحنا المعمدان. وتقدّم نائبا عن البشرية ليعتمد معمودية التوبة، رغم أنه بلا خطية، ولكن حاملا خطايانا، مقدما التوبة عنا.

"حينئذ": يقصد الفترة التى كان يكرز فيها يوحنا المعمدان، وهى ستة أشهر.

"جاء": أى ظهر علنا بين الجموع ليشاركنا، ويتمم عنا كل بر، مع أنه ليس محتاجا للتوبة.

"الأردن": يقصد نهر الأردن الذى يمتد حوالى مائتى ميلا من شمال إسرائيل إلى جنوبه.

ع14-15: عرف يوحنا بالروح أن هذا هو المسيا المنتظر، وتعجب لاتضاع المسيح، فقال له باتضاع أنه هو المحتاج للعماد منه، فكيف يعمده؟ ويرد المسيح بلطف واتضاع أكبر، طالبا من يوحنا أن يسمح ويعمده، ليتمم كل بر عن البشر الخطاة، الذين عجزوا عن أن يتمموه بابتعادهم عن التوبة والحياة الصالحة.

تأمل هذا الحب العجيب، لتتضع أنت أيضا، ليس فقط أمام من هم أعظم منك، بل أمام من هم أقل منك مركزا أو سنا، واسأل نفسك: هل تتكلم بلطف واتضاع مع كل إنسان؟

ع16-17: نزل يسوع إلى نهر الأردن وغطس فى الماء، ثم صعد وخرج من الماء. ولذلك تتمسك الكنيسة بطقس التغطيس فى ماء المعمودية، لأنها تعنى دفن مع المسيح، ثم قيامة أيضا معه، كما يقول الكتاب: " مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتم أيضا معه" (كو 2: 12).

ولأول مرة يُظهر الله أقانيمه الثلاثة بوضوح كامل: فالمسيح الابن فى الماء، والروح القدس ظهر بشكل حمامة على رأسه، والآب سمعوا صوته من السماء.

كان هذا واضحا أمام يوحنا، الذى يعمد المسيح، وكل الحاضرين. ولهذا تعيّد الكنيسة بعماد المسيح، وتسميه "عيد الغطاس"، لأنه غطس فى مياه الأردن. وتسميه أيضا "عيد الظهور الإلهى"، لأنه أظهر أقانيمه الثلاثة فى ذلك اليوم، أى صفاته الشخصية الأساسية التى تقوم بها الذات الإلهية، وهذه الأقانيم هى إله واحد.

وبهذا الظهور الإلهى، وظهور الروح بشكل حمامة على رأسه، تبدأ خدمة المسيح على الأرض، كما كان الملوك والأنبياء والكهنة قديما يُمسحون بالدهن الذى هو إشارة لمسحة الروح القدس، فيبدأون خدمتهم؛ وهذا ما يتم الآن فى سر الكهنوت فى العهد الجديد.

"ابنى الحبيب": هو ابن الله فى الجوهر والطبع منذ الأزل، وهو غير بنوتنا لله بالتبنى.

"به سررت": لأنه يتمم مشيئة الله فى التجسد، وبعد ذلك الفداء لخلاص البشرية.

المسيح يتمم عنا كل بر حتى يعلمنا الحب بعضنا لبعض، لنكمل نقائص بعضنا ونستر على الخطايا، فنتعلم الاتضاع والخدمة فى الخفاء.

**الأَصْحَاحُ الرَّابِعُ**

**التجربة على الجبل دعوة التلاميذ**

**(1) التجربة على الجبل (ع 1-11):**

**1- ثم أُصْعِدَ يسوع إلى البرية من الروح، ليُجَرَّبَ من إبليس. 2- فبعدما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة، جاع أخيرا. 3- فتقدم إليه المجرّب، وقال له: "إن كنت ابن الله، فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا." 4- فأجاب وقال: "مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله." 5- ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة، وأوقفه على جناح الهيكل. 6- وقال له: "إن كنت ابن الله، فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك، لكى لا تَصْدِمَ بحجر رِجْلَكَ." 7- قال له يسوع: "مكتوب أيضا: لا تجرب الرب إلهك." 8- ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبلٍ عالٍ جدا، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها. 9- وقال له: "أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى." 10- حينئذ، قال له يسوع: "اذهب يا شيطان، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد." 11- ثم تركه إبليس، وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه.**

ع1: "ثم": أى بعد عماده فى الأردن، تقدم ليقابل التجارب وينتصر عليها، فيعطينا القدرة على النصرة. ولم يدخل بنفسه إلى التجربة، حتى يعلمنا ألا نلقى بأنفسنا فيها كما فعل لوط بذهابه إلى سدوم. ولكن، إن سمح الله لنا بها، نجاهد بمعونته فننتصر عليها.

الروح القدس الساكن فى المسيح اقتـاده إلى برية بجـوار نهـر الأردن، فقابل الشيطان، لأنه كان من المألوف قديمـا أن الشياطين تسـكن فى البرارى والقفـار (الصحارى)، وليس فى الأماكن المقدسـة حيث البشـر الصالحين. وقد ذهب لينتصـر عليه، ليعطينا قـوة وثقة أن ننتصر على الشيطان إذا حاربنا.

وقد سمح السيد المسيح لإبليس أن يجربه، ليشعرنا أنه قريب منا، يشعر بتجاربنا، كما يقول الكتاب المقدس: "لأنه فى ما هو قد تألم مُجَرَّبًا يقدر أن يعين المُجَرَّبين" (عب 2: 18)، ولكيما يؤكد ضرورة أن تأتى التجارب، فنثق أننا سننتصر عليها، بل وننال بركات روحية منها.

لكن الله لا يسمح له أن يجربنا إلا بالمقدار الذى يفيدنا، ويعطينا المعونة الإلهية التى ننتصر بها.

ع2: فى هـدوء الخلـوة، مكث المسيح أربعين يوما فى صوم وصلوات، ليعلن أهمية الاختلاء بالله، حتى لو صاحب هذا الإحساس بالجوع الجسدى، لأن الشبع بالله والتمتع به هو هدف حياتنا؛ وهـذا يثير إبليس الذى يسـكن فى النفس البعيـدة عن الله. ولكن، عندما تشـبع النفس بالله، ويحاول محاربتها، ينهزم.

وقد صام المسيح أربعين يوما متواصلة دون أن يأكل – مثل موسى وإيليا - حتى لا يتجاوز حدود البشر، فيظن الناس أنه ليس إنسانا عاديا، وقد "جاع أخيرا" ليؤكد ناسوته.

وعدد (40) هو عدد (10) مضروبا فى (4)، وعدد (10) يشير إلى الكمال مثل الوصايا العشرة، وعدد (4) يشير إلى جهات العالم الأربعة؛ فعدد (40) إذن يمثل كمال الجهاد فى كل الاتجاهات. هذا أكمله المسيح لأجلنا، رغم أنه غير محتاج للصوم، ولكن كمثال لنا، ليقدس أصوامنا.

ع3: بعدما سمع إبليس شهادة السماء عن المسيح، أنه ابن الله، عندما كان فى نهر الأردن، تعجب حينما رآه جائعا، وتشكك فى بنوته لله، فتشجع ليجربه كإنسان، سائلا إياه أن يدلل على بنوته لله، فيسد جوعه بتحويل الحجارة إلى خبز. ولم يقل مأكولات شهية، بل مجرد خبز، محاولا الشيطان بذلك إقناعه بضرورة الأكل حتى لا يخور جسده. ويقصد بهذه التجربة أن يسقطه فى خطية عدم الاتكال على الله، بدلا من أن يثق فى عنايته، وأنه سيدبر له الطعام الذى يحتاجه.

ولم يستخدم المسيح لاهوته لراحة نفسه، فقد استخدمه فى إشباع الجموع (ص 14: 13-21، ص 15: 32-39)، ليعلمنا أن نتعب من أجل راحة الآخرين، ونتكل عليه بالنسبة لاحتياجاتنا، واثقين من رعايته، متممين واجباتنا بأمانة.

**"إن كنت ابن الله":** سؤال تشكيكى، يقصد به تشكيك الإنسان فى نفسه، وهذه هى عادة إبليس فى حربه معنا. وهو سؤال استفزازى ليدفعنا لعمل ما يريده، فنسقط فى الخطية.

لذا، ينبغى عدم التسرع فى تنفيذ ما يخطر على بالنا، فقد تكون أفكارا من إبليس، ونختبرها بالصلاة، خاصة ولو كانت فى قرارات هامة، فنأخذ فترة كافية للصلاة، ويمكن أن نقرنها بالصوم، ليرشدنا الله ويكشف حيل إبليس.

ع4: رد المسيح على إبليس بآية من الكتاب المقدس (تث 8: 3)، تعلن أن الشبع الروحى من كلمة الله هو الأساس، وليس فقط الاهتمام بالشبع المادى. فلم يُجب على سؤاله عن بنوته لله، وأعلن أن الإنسان الروحى ينشغل بكلمة الله فبل انشغاله باحتياجاته المادية، معتمدا فى ذلك على إرشاد الكتاب المقدس، الذى يصد به أفكار إبليس.

هذه هى التجربة الأولى، وقد يكون سبقتها تجارب كثيرة، ولكن فى هذه التجارب الثلاث، كان إبليس ظاهرا، إذ تقدم وواجه المسيح، فمكتوب أنه كان يجرب أربعين يوما، وليس فقط فى نهايتها (مر 1: 13).

ع5-6: "أخذه": بالتفاهم معه وليس بالقـوة، لأن المسيح رضى أن يُجَـرَّب بإرادته، ليعلمنا كيف ننتصر على إبليس.

"المدينة المقدسة": أى أورشليم حيث هيكل الله، أقدس مكان، فإبليس يحارب فى كل مكان، حتى فى الأماكن المقدسة.

"جناح الهيكل": مكان مرتفع جدا يعلو عن الأرض حوالى 200 مترا.

التجربة الثانية: أخذه إبليس إلى أعلى مكان فى الهيكل وهو جناحه، ليلقى بنفسه من فوق، فتأتى الملائكة وتحمله، وينزل فى الساحة الكبيرة محمولا على أيديهم، فيبهر الجموع المحتشدة، ويعرف الكل أنه ابن الله، ويبدأ بهذا خدمته.

وقد اسـتند إبليس عـلى آيـة، ليخـدع يسـوع أنه بهذا يتمم كلام الله، فالوعد الإلهى أن يحفظ أولاده بملائـكته (مز 91: 11-12). وواضـح أن إبليس ما زال محتارا؛ هل المسيح هو ابن الله، أم إنسان عادى؟!

"مكتوب": لجأ إبليس إلى استخدام كلام الله فى حربه، ليقنع المسيح ويسقطه فى التجربة، كما يفعل معنا، فيستخدم آيات الكتاب المقدس ويفسرها بحسب شرّه.

والخطأ هنا هو إلقاء الإنسان نفسه فى التجربة، لأن الله يعتنى بنا وينقذنا من التجربة إن أتت علينا، ولكن لا يصح أن نلقى بأنفسنا فيها، ثم نطلب من الله أن ينجّينا.

ع7: رد عليه المسيح بأن الله يعتنى بأولاده، ولكن لا يصح أن يتشكك الإنسان فى هذه العناية، ويحاول أن يجربها ليتأكد منها، ولا يلقى بنفسه فى تجربة. ولكن، إن وقع فى تجربة، فالله يحميه (تث 6: 16).

وبهذا، هـرب المسيح من المجـد الباطل، ليعلّمنا العمل والخدمة فى اتضاع، بل فى الخفاء قدر ما نستطيع.

ع8: التجربة الثالثة: الإغراء بأمجاد العالم وملذاته، والطريق السهل للوصول إلى الاحتياجات، بدل المعاناة وحمل الصليب. فأصعده إلى جبلٍ عالٍ، وهو يشير إلى الكبرياء، وهناك قدّم له حب التملّكٍ فى ممالك العالم، بكل ما يحمله من شهوات وملذات.

"ممالك العالم": وهى مدن وقرى اليهودية، والتى هى عيّنة من مدن العالم بكل ما تحمله من أمجاد.

ع9: إبليس الكذاب ادعى ملكيته لكل ممالك العالم، أو لعله يقصد سلطانه على الشهوات الشريرة التى يغرى بها يسوع، والشرط للحصول عليها هو الخضوع له، ودليلها السجود له.

والتجربة هنا هى محبة التملك والرئاسة، وهو يقدم للمسيح حلا بدلا من تعبه وآلامه المقبلة، فيصير ملكا على العالم كله، وبهذا يحرر شعبه اليهودى من الاحتلال الرومانى، ولكن الشرط هو الخضوع لإبليس والتعبّد له.

ع10: "اذهب": يعلن بوضوح رفضه لكلام إبليس وأفكاره.

"يا شيطان": أى المقاوم.

"إياه وحده تعبد": يخصص العبادة لله فقط، وبالتالى يمنع تقديم العبادة، ليس فقط للأصنام، بل كل تعلق وانشغال بشهوات العالم.

يسـوع المسـيح – آدم الثـانى – لم يكـن فى قلبه محبة العالم، فلم يتأثـر بإغـراءات إبليس، بالإضافة إلى تعلقه، كإنسان، بمحبة الله والخضوع له. وقد رد عليه بالمكتوب أن السجود لله وحده (تث 6: 13).

إن خضع القلب لله ومخافته، لا يقبل شهوات العالم الشريرة.

ع11: إذ هُـزِمَ إبليس منه، فارقه، ولكن مؤقتـا، ليعـود ويحاربه ثانية، كما سـيحدث فى محاولة الفرّيسيّبن والصّدّوقيّبن أن يسقطوه فى خطأ. وحينئذ تقدمت إليه الملائكة لترفع أكاليل انتصـاره إلى السماء، فالملائكة تقوينا وترشدنا وترفع صلواتنا وانتصاراتنا إلى السماء، لنكلَّل عليها فى الأبدية.

وقد واجه المسيح التجربة وحده، حتى تكون النصرة له وليس لمعونة الملائكة.

"تركه": هذا يعنى أن لكل تجربة نهاية، حتى يعطينا الله فرصة للهدوء والنمو فى محبته قبل أن تأتى تجربة ثانية، وبهذا نكون أقوياء أمام التجارب المقبلة.

**(2) رجوع المسيح إلى الجليل (ع 12-17):**

**12- ولما سمع يسوع أن يوحنا أُسلم، انصرف إلى الجليل. 13- وترك الناصرة، وأتى فسكن فى كَفْرَنَاحُومَ، التى عند البحـر، فى تخـوم زَبولونَ ونفتاليمَ. 14- لكى يتم ما قيل بإشعياء النبى القائل: 15- "أرض زبولون وأرض نفتاليم، طريق البحر، عبر الأردن جليل الأمم. 16- الشعب الجالس فى ظلمـة، أبصـر نـورا عظيما، والجالسـون فى كورة الموت وظلاله، أشرق عليهم نور." 17- من ذلك الزمان، ابتدأ يسوع يكرز ويقول: "توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السماوات."**

ع12: مكث المسيح بضعة أشهر فى اليهودية، ذكر يوحنا الإنجيلى ما حدث فيها فى الأصحاحات الأولى من بشـارته، وكان أثنـاءها يوحنـا المعمدان يكمل كرازته وشهادته للمسيح. وقد بقى المسيح هذه الفترة فى اليهودية، ليوضح اتفاقه فى التبشير مع يوحنا المعمدان. وأثناء ذلك، انضم كثير من تلاميذ يوحنا إلى المسيح. ثم بعدما أكمل يوحنا المعمدان كرازته، قبض عليه هيرودس وألقاه فى السجن.

"الجليل": هو الجـزء الشمالى من إسـرائيل، ويمتد شرقا من نهر الأردن إلى عكا غربا على ساحل البحر الأبيض.

ع13: رجع يسـوع إلى الجليل، حيث عاش فى الناصرة سـنواته الأولى حتى سن الثلاثين. ولكنه لم يسكن فى الناصرة، بل ذهب إلى كَفْرَنَاحُومَ، وهى مدينة معروفة فى الجليل، تقع على بحر الجليل، أى بحر طبرية، فى الأماكن التى يمتلكها سبطى زبولون ونفتاليم (نفتالى).

ع14: تنبأ إشعياء (9: 1-2) عن بشارة المسيح فى الجليل، وهذه هى النبوة السادسة التى يذكرها القديس متى عن المسيح.

ع15: "أرض زبولون وأرض نفتاليم": هما لسبطين من أسباط إسرائيل (ابنين ليعقوب)، وتقعان غرب الأردن وشمال بحر الجليل.

"طريق البحر": يقصد بحر الجليل.

"عبر الأردن": أى الأرض التى تقع غرب الأردن.

"جليل الأمم": اختلـط اليهـود بالأمم فى منطقة الجليـل، لذلك سمى "جليل الأمم"، واختلطت العبادات الوثنية مع العبادة اليهودية، ولذلك احتقر أهل اليهودية سكان هذه المنطقة لاختلاطهم بعبادات الأمم. وقد شملت منطقة الجليل العشرين مدينة التى أهداها سليمان لحيرام لأنه ساعده فى بناء الهيكل (1مل 9: 11).

ع16: "الجالس فى ظلمة": سـكان هـذه الأرض قبلـوا الخطية، وعاشوا فيها، وهى المرموز إليها بالظلمة.

"أبصر نورا": النور يشير للحياة الجديدة مع الله والنقاوة، ويُقصد هنا بشارة المسيح ودعوتهم للتوبة والرجوع إلى الله.

"كورة الموت وظلاله": (مز 107: 10): الخطايا التى انغمس فيها سكان هذه البلاد عقابها هو الموت. وكلمة "ظلاله" تعنى كل ما يتصل بالموت من شرور تؤدى إليه.

ع17: "من ذلك الزمان": أى بعد القبض على يوحنا، بدأ المسيح بشارته فى الجليل.

كانت كرازة المسيح هى نفسها التى نادى بها يوحنا المعمدان، وهى التوبة السريعة لاقتراب ملكوت السماوات، أى مُلك الله على القلوب، المُلك الروحى، وقد تم بقيامة المسيح، ثم يكمل هذا الملكوت فى السماوات.

الله يبحث عنك حتى لو كنت منغمسا فى الخطية، ومختلطا بالأشرار، ومستعد أن يطهر قلبك ويجدد حياتك ويسكن داخلك، بل ويحوّلك إلى القداسة. فتجاوب معه بقبول دعوة التوبة والرجوع إليه، وهوسيساعدك ويسندك وينجحك فى كل خطواتك.

**(3) دعوة التلاميذ (ع 18-22):**

**18- وإذ كان يسوع ماشيا عند بحر الجليل، أبصر أخوين، سِمعان الذى يقال له بطرس وأندراوس أخاه، يلقيان شبكة فى البحر، فإنهما كانا صياديْن. 19- فقال لهما: "هَلُمَّ ورائى، فأجعلكما صَيَّادَىِ الناس." 20- فللوقت، تركا الشباك وتبعاه. 21- ثم اجتاز من هناك، فرأى أخوين آخرين، يعقوب بن زَبَْدِى ويوحنا أخاه، فى السفينة مع زَبَْدِى أبيهما، يصلحان شباكهما فدعاهما. 22- فللوقت، تركا السفينة وأباهما وتبعاه.**

ع18: "بحر الجليل": هو بحـيرة مياههـا عذبة، طولها 12 ميلا وعرضها 10 أميال وعمقها حوالى 50 مترا، وهى المسماة بحيرة طبرية أو بحيرة جَنِّيسَارَتَ.

وإذ كان يسوع يمشى على شاطئ البحر، وجد أخوين هما سِمعان الذى لقَّبه فيما بعد ببطرس، أى صفا أو الصخرة، وأندراوس أخوه، وهما ابنى يونا. وكانا يلقيان شبكتهما فى البحر، إذ كانت حرفتهما هى صيد السمك.

ع19-20: دعاهما المسيح أن يتبعاه، ويصيرا تلميذين له، ليعملا عملا أفضل، وهو صيد النفوس لمعرفة الله، فأطاعا. وهذا عمل فوق العادة، أن يحب الإنسان الله حتى يترك عمله الضرورى.

والطاعة، هى التنازل عن المشيئة والمنطق البشرى من أجل محبة الله. وقد اختار المسيح تلاميذه أميين، ومن منطقة محتقرة فى نظر اليهود، وهى الجليل، ليعمل بهم، فيكون المجد لله، وليس للإمكانيات البشرية؛ وشرط عمل الله فينا هو الطاعة.

"فللوقت": إشـارة إلى الطاعـة السـريعة. ويبـدو أن تعرفهما السـابق على المسيح المذكور فى (يو 1: 40-42) سـاعدهما عـلى تبعيته، ولكن هـذا يظهـر تأثرهـما وتجاوبهما القوى مع كلمة الله.

"تركا الشباك": معناه تفضيل تبعية المسيح عن أعمالهما وحياتهما الخاصة، فمحبتهما كانت قوية لدرجة ترك كل شىء، حتى الشباك والعمل الذى يعيشان منه.

ع21-22: "زَبَْدِى": زوج سالومة التى تبعت المسيح فيما بعد (ص 27: 56)، ويبدو أنه كان غنيا وله عمال يساعدونه وله مركز فى المجتمع (يو 18: 15).

بعد قليل، أثنـاء سير المسيح على شاطئ البحر، وجد أخوين آخرين، هما يعقوب ويوحنا ابنى زَبَْدِى، وكانا رفيقى سِمعان وأندراوس فى صيد السمك، كما يظهر تعاونهما معهما فى صيد السمك الكثير، الذى بعده دعاهما يسوع (لو 5: 6-11)، فتركا الشباك التى كانا يصلحانها مع أبيهما، وتبعا يسوع.

إن تبعية الله أفضل من الأعمال الضرورية والعلاقة مع الوالدين، وليس معنى هذا إهمال أعمالنا وعدم إكرام والدينا، بل إن طاعة الله فوق كل شىء. فكن مستعدا لترك بعض راحتك ولذتك من أجل التمسك بحياتك الروحية، فتتمتع حينئذ بعشرة الله والسلام الداخلى.

**(4) الكرازة والعمل (ع 23-25):**

**23- وكان يسوع يطوف كل الجليل، يعلّم فى مجامعهم، ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب. 24- فذاع خبره فى جميع سورية، فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة، والمجانين والمصروعين والمفلوجين، فشفاهم. 25- فتبعته جموع كثيرة من الجليل والعشر المدن وأورشليم واليهودية ومن عبر الأردن.**

ع23: خرج يسوع من كَفْرَنَاحُومَ فى رحلات كثيرة فى منطقة الجليل، وهى حوالى تسع رحلات، اجتـاز أكثر مدنها وقراها، التى تزيد عن 200 مدينة وقرية، وكانت كل منها تحوى فى المتوسط 15 ألف نسمة، أى أن سٍـكان الجليـل كانـوا حوالى 3 مليون نسمة، وكان يبشرهم بالتوبة واقتراب الملكوت.

"مجامعهم": أماكن للعبادة ظهرت أيام السبى، واستمرت بعد ذلك، وفيها يُصلّون ٍويقرأون الأسفار المقدسة ويلقون العظات الروحية. وهى منتشرة فى كل البلاد، لأن الهيكل فى أورشليم فقط؛ واستغل المسيح هذه المجامع فى التبشير بالخلاص الذى يقدمه للبشرية.

وكان المسيح حنونا، يشفى أمراضهم ليعلن محبته للبشرية. وبهذه المعجزات تعلقت القلوب به، فحدثهم بكلامه الروحى العميق.

"كل ضعف": أى متاعب جسدية كان يشتكى منها الناس.

ع24-25: من أجل معجزاته وتعاليمه المؤثرة، انتشر خبره، ليس فقط فى الجليل، بل إلى مناطق كثيرة أخرى، هى:

(1) سورية: ولاية رومانية كبيرة تقع شرق الجليل.

(2) العشر مدن: مدن تميزت بامتيازات رومانية، وتقع شرق الأردن، وتسمى حاليا الجولان.

(3) أورشليم: مدينة معروفة لأن فيها هيكل الله، وتقع فى الجزء الجنوبى من بلاد اليهود.

(4) اليهودية: منطقة تشمل الجزء الجنوبى من بلاد اليهود، وداخلها مدينة أورشليم، وتشمل مدن وقرى كثيرة.

(5) عبر الأردن: منطقة تقع جنوب العشرة مدن.

"المجانين والمصروعين والمفلوجين": ذكـر هـذه الأمـراض لصعوبتها عن غيرها. والمجانين والمصروعين إما من أعمال الشياطين فيهم، أو لأمراض عصبية تجعلهم غير متزنين، أو قد يغشى عليهم أحيانا ويسقطون على الأرض. أما المفلوجون فهم من يعانون من الشلل فى جزء أو معظم جسمهم.

ليتك تتعود أن تصنع خيرا فى كل مكان، فتساعد كل محتاج وكل من يعانى من ضعف، سواء طلب منك أو لم يطلب؛ وإذ يتأثرون بمحبتك، يقبلون بسهولة كلامك عن المسيح والتوبة والرجوع إلى الله.



**الأَصْحَاحُ الخَامِسُ**

**العظة على الجبل التطويبات استكمال الناموس**

**(1) مقدمة العظة على الجبل (ع 1-2):**

**1- ولما رأى الجموع، صعد إلى الجبل. فلما جلس، تقدم إليه تلاميذه. 2- ففتح فاه وعلمهم قائلا:**

ع1: تكاثرت الجموع خلف المسيح، فخرج بهم إلى الجبل ليحدثهم بكلامه المحيى.

والجبل يشير روحيا إلى الارتفاع عن الماديات، والقوة والثبات الروحى. وتكلم معهم فى خطاب طويـل اسـتغرق ثلاثة أصحاحات، ويُعتبر دسـتورا للمسيحية فيه أهم تعاليمها. وقد اقـترب منه تلاميذه لمحبتهم فيه.

"صعد": كان هناك جموع كثيرة تتبع المسيح، وهى التى ذُكرت فى نهاية الأصحاح السابق. وحتى يسمعوه ويروه بوضوح، صعد مسافة صغيرة على الجبل وجلس، واقترب منه تلاميذه. أما باقى الجموع، فجلست أمامه على الأرض فى الوادى المتسع؛ وهذا الجبل هو أحد الجبال القريبة من كَفْرَنَاحُومَ فى الجليل.

ع2: بدأ المسيح يتكلم ويعلم الجموع بكلام مباشر، وهذه العظة هى من أشهر عظاته. وقد يكون كـرر بعض معانيها فى مناسـبات أخرى، ولكنها - من أهميتها - تُعتبر دستورا للمسيحية. وقد كانت عظته بمثابة تفسير للناموس، مضيفا إليه كمال الحياة المسيحية، فما جاء لينقض الناموس بل ليكمله (ع17).

**(2) التطويبات وهى الغبطات أو البركات (ع 3-12):**

**3- "طـوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السماوات. 4- طـوبى للحـزانى، لأنهم يتعزون. 5- طـوبى للودعاء، لأنهم يرثـون الأرض. 6- طـوبى للجياع والعطاش إلى البر، لأنهم يشبعون. 7- طوبى للرحماء، لأنهم يُرحمـون. 8- طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله. 9- طوبى لصانعى السلام، لأنهم أبناء الله يُدعون. 10- طوبى للمطرودين من أجل البر، لأن لهم ملكوت السماوات. 11- طوبى لكم إذا عيَّروكم وطردوكم، وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين. 12- افرحـوا وتهللـوا، لأن أجـركم عظيم فى السماوات، فإنهم هـكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم."**

ع3: بدأ المسيح حديثه بتشجيع أولاده ومدحهم، ليجاهدوا فى حياتهم الروحية، فأظهر لهم المكافأة، ليتحمسوا للعمل الروحى.

وأول مدح كان "المساكين بالروح"، أى المتضعين، لأن الاتضاع هو أساس كل فضيلة، كما أن الكبرياء هو الخطية الأولى التى أسقطت آدم، وأيضا الشيطان. وبالتالى، فالمتضع يضمن ملكوت السماوات الأبدى بحلول الله فى قلبه بملكوته الروحى، فيفرح ويتمتع كل حين.

ع4: ثم يمدح الحزانى على خطاياهم، أى التائبين، ومن يحزنون على خطايا الآخرين، فيصلّون لأجلهم، لأن الله يعطيهم سلاما فى قلوبهم فى هذه الحياة، ثم تعزيات سماوية وأمجاد فى الأبدية.

ومن أجل هذا، أحب أولاد الله الدموع والندم على الخطية، ليحيوا فى البر بقلوب رقيقة، تشعر بحنان الله وغفرانه، وتشكره كل حين. وهذا الحزن طبعا غير الحزن على فقدان الماديات، أو عدم الحصول عليها، فهذا حزن باطل ينبغى التحرر منه.

ع5: إذ يتحلّى الإنسان بالتوبة، تهدأ نفسه، فيصير وديعا فى داخله لا ينفعل لأى مكسب أو خسارة. وعلى قدر قوة علاقة الروح بالله، يهدأ الجسد وتُرَوَّضُ طاقاته؛ وقد قدّم المسيح نفسه مثلا أعلى فى الوداعة لنتعلم منه.

ويظن البعض أن الوديع يخسر حقوقه فى هذه الحياة، لكن الله يعد الودعاء بوراثة الأرض.

والمقصود بـ "الأرض"، ليس فقط الأرض الجديدة فى ملكوت السماوات، بل أيضا الأرض التى نعيش عليها، إذ أن الوديع يحبه الجميع وتزداد بركات الله له، المادية بالإضافة إلى الروحية، فلا يحتاج لأى شىء مادى.

وترمز الأرض أيضا للجسد، الذى يخضع للروح، فيصير هيكلا للروح القدس.

وكذلك ترمز الأرض للأشرار، الذين يتحولون عن طبعهم الشرير بمخالطة الودعاء، وبهذا يكسبونهم للمسيح.

ع6: "البر": هو الصلاح والأعمال الحسنة، وكل حياة فى الله. وكمال البر هو المسيح، فالجوع والعطش إليه هو الشعور بالاحتياج المستمر للامتلاء به. وكما كان بنو إسرائيل فى البرّية، يشبع الله جوعهم بالمن من السماء ويروى عطشهم بالماء من الصخرة، مانحا إياهم الحياة فى البرّية القاحلة، كذلك المسيح هو حياتنا التى لا نستطيع أن نعيشها بدونه. ومن يطلب المسيح، لابد أن يشبع ويمتلئ بفرح.

وهذا الجوع والعطش، يدفع الإنسان للنمو فى الحياة الروحية بالطموح والاقتراب المتزايد من الله، وانتهاز كل فرصة لمعرفته بالصلاة والقراءة والتأمل، وفوق الكل التمتع بالأسرار المقدسة.

ع7: الرحمة: هى الإحساس بالآخر، ووضع نفسك مكانه، فتعطيه، ليس فقط الاحتياجات المادية أو العاطفية، بل المشاركة، فتأكل وتتحرك وتفكر معه، كما فعل المسيح إذ تجسد، وشاركنا طبيعتنا كلها ما خلا الخطية وحدها. وتذكّر أن المسيح هو من تصنع معه الرحمة، لأنه دعا المحتاجين "إخوته"، وما نفعله معهم كأننا فعلناه معه. ومكافأة الرحمة أننا ننال مراحم الله فى حياتنا وخاصة فى الضيقة، ثم فى النعيم الأبدى (راجع ص 10: 42، ص 25: 34-46).

ع8: "القلب": يمثل داخل الإنسان وأعماقه ومشاعره ونياته، ونقاوته معناها تجرده من كل شهوة شريرة، وكل انشغال عالمى عن محبة الله، إذ يصير القلب مهيّأً لسكنى الله بالنقاوة، ويستطيع أن يعاين الله ويشعر أنه بداخله ومعه فى كل شىء، ليس بالرؤية أو السماع الحسى، بل بالإحساس الروحى، لأنه أعمق من الأمور الحسية، ومشبع للنفس جدا؛ وكل الصفات السابقة تجتمع معا لتؤهل النفس للنقاوة التى بها نعاين الله.

ع9: "السلام": هو استقرار القلب وراحته وفرحه. وصنع السلام يكون مع النفس فأحيا فى سلام، وهذا يستلزم التنازل عن كل ما يقلق من شهوات ردية وأطماع أرضية، بل والاستعداد للتنازل عن جميع الحقوق والاحتفاظ بالحق الأهم، وهو السلام الداخلى.

وإذا اكتسبنا سلامنا، نستطيع أن نصنع سلاما مع الآخرين بالحب والصلوات لأجلهم، ومساعدتهم على الخروج من متاعبهم، حتى وإن احتملناهم كثيرا لأنهم مساكين فاقدين سلامهم.

والسـلام هو الخضـوع لله، إله السـماء، الذى يمنحه كهبة للذين يحبونه. وقد صنع سلاما بين الأرض والسماء، ومصالحة بينهما، بدمه على الصليب. فإن سـعينا فى طلـب السـلام، نكون بالحقيقة أبناء له.

ع10-12: التطويـب الثامـن والأخـير، ينتـج من كل الصفـات السبعة السابقة، وهو احتمال الاضطهادات من أجل الحياة النقية والأمانة، ومن أجل طاعة المسيح ووصاياه.

ويعدنا الرب، مقابل الآلام المحدودة فى هذه الحياة، بأمجاد ملكوت السماوات التى لا تنتهى.

"البر": أى الصلاح وأعمال الخير والحياة مع الله، وهذا شرط للمكافأة السماوية، لأنه لو أساء الناس إلينا ليس لبرنا، بل لأخطاء صنعناها، فهذا جزاؤنا الطبيعى.

"عيَّروكم": أى استهزأوا بكم وبمسيحكم وبكل معتقداتكم وسلوككم المستقيم.

"كل كلمة شريرة": وهى اتهامات باطلة يدعيها الأشرار عليكم، كما فعلوا أيام الاضطهاد الرومانى، وفى كل جيل.

"افرحوا وتهللوا": لأنكم شـاركتم المسـيح فى آلامه، وللأمجاد السماوية التى تنتظركم عوض كل ما احتملتموه.

"عظيم": ليُظهر مقدار البركات السماوية التى لا يُعَبَّرُ عنها.

ويدعونا للثقة فى سلوكنا البار، مهما كانت تشكيكات وادعاءات الأشرار التى نحتملها، عالمين أنها طريقنا لننال أجـرنا السمائى، خاصة وأن كل الأنبياء والقديسين احتملوا لأجل الله، فالاحتمال شرط أساسى لنوال الملكوت.

ونصـوص هـذه التطويبـات هى صفـات الإنسان المسيحى، التى لا يُستغنَى عن أحدها لنوال المكافآت الثمانية.

وأمامنا مثلنا الأعلى، المسيح، لنجد التطبيق العملى لكل هذه الصفات فيه.

إن كنت تبغى السعادة، وتشتاق أن تصل إلى الملكوت، فلابد أن تقتنى الفضيلة، وتتعب لتقتنيها، فتفرح بسكنى المسيح فيك.

افحص حياتك، لتعرف الخطية المتكررة التى تعانى منها، واسْعَ لاقتناء الفضيلة المقابلة لخطيتك. فإن كنت تعانى من الكبريـاء، تعلم الاتضـاع. وإن كنت محاربا بالنجاسـة، فأنت محتاج للطهارة... وإرشادات أب اعترافك تفيدك كثيرا فى هذا الأمر.

**(3) رسالة المسيحى (ع 13-16):**

**13- "أنتم ملح الأرض، ولكن إن فسد الملح، فبماذا يُمَلَّحُ؟ لا يصلح بعد لشىء، إلا لأن يطـرح خارجـا، ويداس من الناس. 14- أنتم نـور العالم، لا يمكن أن تُخْفَى مدينة موضـوعة على جبل. 15- ولا يوقدون سـراجا ويضعونه تحت المكيال، بل على المنـارة، فيضىء لجميع الذين فى البيت. 16- فليضئ نوركم هكذا قدام الناس، لكى يروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذى فى السماوات."**

ع13: شبه المسيح أولاده بالملح الذى يملح الأرض، أى البشر الأرضيين المرتبطين بالعالم. ويتميز الملح بذوبانه فى الطعام، فيعطى مذاقا أفضل، دون أن يلغى طعمه الأصلى، مثل المسيحى الذى يؤثر فى الآخرين فيصيروا فى حياة أفضل، ولا يفقدوا شخصياتهم الخاصة.

والملح رخيص ومنتشر فى العالم كله بسهولة، مثل المسيحى المتضع الذى تنتشر خدمته لكل إنسان. والملح أبيض اللون، فيرمز للنقاوة والطهارة. ويستخدم أيضا فى حفظ الأطعمة من الفساد، كما أن المسيحى يحفظ نفسه ومَن حوله ويثبتهم فى الحياة مع الله.

المشكلة الحقيقية، هى أن يفسد الملح الذى نعتمد عليه فى إصلاح الجميع. ومتى يفسد الملح؟

(1) إذا اختلط بمواد غريبة، فيضعف تأثيره، مثل اختلاط المسيحى بالأشرار وتأثره بهم.

(2) دخول رطوبة عليه فتضعف ملوحته، وهذا يرمز للتنعم والتلذذ براحة الجسد، وشهوات الحياة الفاسدة.

(3) إذا اختلط بالمـاء ومر فيه تيـار كهربائى، يتحول إلى مواد ضـارة مثل الصودا الكاوية، وهذا يرمز لخضوع المسيحى لقوى العالم الشريرة، مثل التعلق بمحبة المال والشهوات المختلفة، فتملأ قلبه وتغيّره عن طبعه، ويصبح ضارا ومفسدا للمحيطين به الذين يرونه قدوة، فيصبح مُعثرا لهم.

حينئذ تظهر مشكلة، ألا وهى: بماذا نُملّح أو نصلح الآخرين؟ ومن ناحية أخرى: ماذا نصنع بهذا الملح الفاسد؟ إنه فقد عمله وهدف وجوده فى الحياة، فلا ينتظره إلا أن يُلقَى خارج الملكوت، ويعانى آلام الدوس، أى العذاب الآبدى، والسحق الذى لا ينتهى.

ع14: يشبّه المسيحى بالنور الذى وظيفته أن ينير للآخرين، وهو يتميز بما يلى:

(1) يرشد الآخرين فى طريق حياتهم.

(2) يكشف لهم الشر وكل ما يضرهم ليبتعدوا عنه.

(3) يساعدهم على عمل الخير، فالعمل يكون فى النور وليس فى الظلمة.

(4) النور قوى، لا يخاف الظلام، أى الشر، بل إن الظلمة تهرب منه.

فلابد أن يكون المسيحى فى سمو حياة روحية كمدينة مبنية على جبل، لا يمكن إخفاء نورها، مثل القمر الذى يضىء العالم بنوره العاكس لضوء الشمس التى هى الله، فهو يطالبنا أن ننير العالم كله بحياتتنا الصالحة.

ع15: يشبّه أيضا حياة المسيحى بسراج (مصباح أو قنديل) فى بيت، الهدف منه إنارة هذا البيت، ويوضع على منارة أو مكان مرتفع ليصل نوره إلى كل أرجاء البيت؛ ومن غير المنطقى أن يوضع فوق السراج مكيال ليخفى ضوءه.

"المكيال": هو وعاء ذو فوهة ضيقة وقاعدة أكبر، يستخدم لتعيين حجم الحبوب عند بيعها، فإذا وُضع فوق السراج يخفى ضوءه تماما. وهو يرمز للماديات والقياسات العقلية، وهموم العالم التى تمنع انطلاق النور ’’نور عمل الروح القدس فينا‘‘ ليضىء للآخرين.

ع16: يطالبنا بالقدوة للآخرين فى الأعمال الصالحة، فيروا المسيح فينا، وعمل روحه القدّوس، فيمجدوا الله وينجذبوا للحياة معه، ولا يكون غرضنا من الأعمال الصالحة الكبرياء ومديح الناس ومجد أنفسنا، بل نسلك بالبر من أجل الله كقدوة للآخرين، فنجذب القلوب لمحبة الله.

إن لك دور أساسى فى العالم، وهو إظهار المسيح فى كلامك وتصرفاتك فى كل مكان تذهب إليه أو توجد فيه. فاسأل نفسك فى نهاية كل يوم، هل أظهرت المسيح فى بيتك وعملك وكل مكان ذهبت إليه؟ حتى تتوب عن خطاياك وتدقق فى سلوكك، فتربح نفسك ومن حولك.

**(4) تكميل الناموس (ع 17-20):**

**17- "لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل. 18- فإنى الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس، حتى يكون الكل. 19- فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى، وعلّم الناس هكذا، يُدْعَى أصغر فى ملكوت السماوات؛ وأما من عمل وعلّم، فهذا يُدْعَى عظيما فى ملكوت السماوات."**

ع17-18: المسيح هو الله، واضع الناموس. وبالتالى، من غير المعقول أن ينقض ما وضعه، ولكنه تجسد ليكمله؛ كيف؟

أ ) فيه تتم كل الرمـوز والنبـوات فى العهـد القديم، كما يذكر متى الإنجيلى هذه العبـارة: "ليتم ما قيل بالأنبياء..."

ب ) يتمم بنفسـه كل ناموس عنا، إذ عجـزنا نـحن عن إتمامه، كما يقول ليوحنا المعمدان: "نكمل كل بر" (ص 3: 15).

حـ) يكمل الناموس فى حياتنا بقوة روحه القدّوس، فإن كنا قد عجزنا بقوتنا أن نتممه، فالروح القدس يسندنا ويقوينا.

د ) يكمل تفاصيل الوصايا، فيعطى أسبابها وجذورها حتى نتلافاها، فالقتل مثلا بدايته الغضب، والزنا أوله نظرة شريرة.

"الناموس أو الأنبياء": يقصد بهما كل أسفار العهد القديم.

"الحق": تعنى "آمين"، والمقصود تثبيت وتأكيد ما سيعلنه فى الآية.

"السماء والأرض": تعبير عن أكثر الأمور ثباتا فى العالم، لتوضيح ثبات كلام الله فى الكتاب المقدس إلى نهاية الدهور.

"حرف واحد أو نقطة واحدة": أى أن أصغر تعليم لا يمكن أن يتغيّر.

"حتى يكون الكل": حتى تكمل خطة الله فى خلاص أولاده يوم الدينونة، ويكمل تطبيق كل الناموس، بتمجيد أولاد الله وعذاب الأشرار.

ع19-20: كان الكتبة والفرّيسيّون يحفظون الناموس حرفيا، لكنهم ينقضونه بأعمالهم. فرغم أهمية الحرف، فإن الأهم هو تنفيذه عمليا. فمن أهمل أصغر وصية، وعلَّم بذلك، يكون أحط وأقل إنسان فى ملكوت العهد الجديد، أى الكنيسة، وينبغى أن يتوب سريعا حتى لا يخسر أبديته. لأن من نقض إحدى الوصايا ورفضها عمدا، يكون قد رفض الكل. أما من يخطئ بضعفه، فالتوبة تمسح الخطايا فى سر الاعتراف.

ولكن من قَرَنَ تعليمه للوصايا بتنفيذها فى حياته، فهذا يدعى عظيما فى الكنيسة والملكوت الأبدى.

ثم ينادى المسيح تابعيه أن يزيـد برهم عن الكتبة والفرّيسيّين، فلا يكتفوا بحفظ حروف الناموس، بل لابد من تطبيق وصاياه عمليا فى حياتهم، لأنهم إن لم يطبقوا الناموس لن يدخلوا ملكوت السماوات.

"الوصايا الصغرى": هى التى تختص بالابتعاد عن شىء، أو التدقيق فى شىء صغير. فهى مهمة مثل الوصايا الكبرى كالوصايا العشر.

الكتبة والفريسيين: كان اليهود يظنون أنه لكثرة معلومات هاتين الفئتين، أنهما أعظم مثال للحياة مع الله، فأوضح المسيح ضرورة أن يزيد البر لأى إنسان يريد أن يخلص عن هذا البر النظرى.

ليتك تطبق ما تقوله للآخرين فى حياتك قبل أن تعلّم به غيرك، فتختبره وتنال بركته، ويكون كلامك أكثر تأثيرا فى سامعيك. إن كل معرفتك الروحية، الله أعطاها لك أنت أولا قبل أن تعلّم بها غيرك. فاقبل كل ما تقرأه أو تسمعه للتطبيق العملى، فتخلّص نفسك ومن يسمعونك، إذ يظهر فى حياتك سلوك مستقيم يكون قدوة للآخرين دون أن تشعر.

**(5) القتل (ع 21-26):**

**20- "فإنى أقول لكم: إنكم إن لم يزد بِرُّكُمْ على الكتبة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت السماوات. 21- قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تقتل، ومن قتل يكون مستوجب الحكم. 22- وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلا، يكون مستوجب الحكم. ومن قال لأخيه رَقَا، يكون مستوجب المجمع. ومن قال يا أحمق، يكون مستوجب نار جهنم. 23- فإن قدمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك. 24- فاترك هناك قربانك قدام المذبح، واذهب أولا اصطلح مع أخيـك؛ وحينئذ تعـال وقدم قربانك. 25- كن مراضيا لخصمك سريعا، ما دمت معه فى الطـريق، لئـلا يسلمك الخصم إلى القاضى، ويسلمك القاضى إلى الشـرطى، فَتُلْقَى فى السجن. 26- الحق أقول لك: لا تخرج من هناك حتى تُوفِىَ الْفَلْسَ الأخير."**

ع21-22: إن كانت التطويبات قد تكلمت عن الصفات الإيجابية فى الإنسان المسيحى ومكافآتها، فيذكر المسيح الآن الخطايا السلبية وكيفية معالجتها، ويأخـذ مثلا وصية صعبة، وهى "لا تقتل" فيأتى بجذرها، وهو خطية الغضب، لأنه إن ابتعدنا عن الغضب، فبالطبع لن نقتل أحدا.

وقد كان الكتبة والفرّيسيّون وشيوخ اليهود يعاقبون من يقتل عمدا، أما غير المتعمد فيهرب إلى مدن الملجأ. ولم يعطوا اهتماما بالغضب الداخلى، بل اكتفوا بتنفيذ الغضب خارجيا بالقتل.

ولكيما يوضح المسيح خطورة الغضب، قال: "إن كل من يغضب على أخيه باطلا"، أى بسبب الأمور المادية الباطلة الزائلة، يكون مستوجبا حكم المحاكم الصغيرة التى أقيمت فى كل البلاد اليهودية، ويقضى فيها عادة 23 قاضٍ من الشيوخ، وهذا الحكم يمكن استئنافه أو مراجعته فى المحاكم العليا، وأكبرها مجمع "السنهدريم" فى أورشليم، الذى يتكون من سبعين من كبار شيوخها رؤساء اليهود، لذا يسمى أيضا مجمع السبعين، وهو المجلس الأعلى وتتبعه كل المجالس الفرعية. كما أنه أكبر سلطة يهودية تأخذ القرارات فى أمور اليهود الدينية، وكان كثير من الكتبة أيضا أعضاء فى هذا المجمع.

والمقصود بالغضب هنا، غضب داخلى قلبى، دون إظهار أى تعبير عنه.

أما "من قال لأخيه رَقَا"، وهى كلمة سريانية تعبّر عن الاحتقار المرتبط بالغضب، يستوجب هذا محاكمة المجمع، أى مجمع السنهدريم الذى يتكون من كبار شيوخ أورشليم.

ولكن، إن تطاول الإنسان فى غضبه، ووصف أخيه بالحمق والغباء، فيستحق "نار جهنم".

"جهنم": مأخوذة من وادى هِنُّومَ الذى كانت تلقى فيه بقايا الذبائح، وكان يسرى فيها الدود، ويحرقونها بالنار، فكانت النار لا تنطفئ فى هذا الوادى. ولذا شبّه الله العذاب الأبدى بالنار التى لا تنطفئ، والدود الذى لا يموت، فى وادى هِنُّومَ، ولكن بطريقة روحية أكثر عذابا وقسوة.

وهنا، يظهر المسيح رفضه للغضب وخطورته، فحتى الغضب الداخلى يستوجب محاكمة أمام الله، وبالتالى أى تعبير عنه، سيؤدى بالإنسان إلى الهلاك الأبدى.

ع23-24: يعلن المسيح بوضـوح أن الصلوات والعطايا المقدمة لله، لا تُقبَل من الإنسان الغضوب، أو المسئ لغيره، أو المخاصم، لأن الله يريد الصلوات المقدمة من القلب النقى المملوء محبة.

فإن قدّم أحد اليهود قربانه كعطية لله، ثم تذكّر وانتبه لوجود مخاصمة بينه وبين أحد، فلا يكمل تقديم قربانه، بل يصطلح أولا مع أخيه، ثم يعود ويكمل تقديم قربانه، لكيما يُقبَل من الله.

"لأخيك شيئا عليك"، لم يقل لك عليه شىء، فحاسب نفسك على واجباتك قبل حقوقك.

"اترك": يوضح أهمية المصالحة وتقديم الحب قبل العبادة، لأنه إن تنقَّى القلب بالمحبة يكون مقبولا من الله، وكذا العبادة التى يقدمها.

"اذهب": أى اهتم بمصالحة أخيك حتى لو كان مخطئا فى حقك، كما يوصى المسيح بنفسه، قائلا: "إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه" (ص 18: 15).

يلزم تنقية القلب من كل غضب قبل الصلاة، سواء فى مخدع بيتك أو فى الكنيسة، وخاصة عند التناول من الأسرار المقدسة، لأن صلواتك غير مقبولة إن لم تُنَقِّ قلبك.

فأسرع لمصالحة الآخرين، حتى لو كانوا مخطئين فى حقك، فتكسبهم بالمحبة، ولا تنزعج من كبريائهم أو قسـوتهم، بل صَلِّ لأجلهم حتى يُنزَع الغضب من قلوبهم، واهتم بسـلامك قبل كل شىء.

ع25-26: إن "خصمك" هو وصايا الله، أو ضميرك الذى يذكّرك بكلام الله، أو الروح القدس الساكن فيك، إذ أنك صرت فى خصومة معه بسبب وقوعك فى الشر.

"الطريق": هو هذه الحياة. فإن خضعت لصوت الروح القدس والضمير، وأطعت الوصية، مبتعدا عن الغضب والحقد وكل شر، تُنَجِّى نفسك، وتصطلح مع هذا الخصم، وإن لم تصطلح معه بالخضوع له والتوبة، فإنه يسلمك إلى "القاضى"، وهو الله الديّان العادل فى يوم الدينونة، فيحكم عليك بالهلاك الأبدى، ويسلمك إلى "الشرطى"، وهم الملائكة الذين يلقونك فى السجن، أى العذاب الأبدى، و"لا تخرج من هناك حتى تُوفِىَ الْفَلْسَ الأخير" (كل ديونك حتى أصغر عملة). ولأن خطيتك غير محدودة، إذ هى موجه لله غير المحدود، فعقابها غير محدود، وبالتالى، تظل فى العذاب الأبدى.

ليتك تحترس من خطية الغضب، ولا تعطى لنفسك أعذارا لتتمادى فيها، بل أشفق على الآخرين مهما كانت أخطاؤهم، فتحمى نفسك من نتائج الغضب الشريرة، وتستعيد سلامك، وترجع إلى طريقك الروحى المؤدى إلى الملكوت، وتكسب نفوس من حولك.

**(6) الزنا (ع 27-30):**

**27- "قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تزن. 28- وأما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها، فقد زنى بها فى قلبه. 29- فإن كانت عينك اليمنى تعثرك، فاقلعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يُلْقَى جسدك كله فى جهنم. 30- وإن كانت يدك اليمنى تعثرك، فاقطعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يلقى جسدك كله فى جهنم."**

ع27-28: إن الزنا هو النظر بقصد الشهوة، وهذا يولد تلذذ بالشهوة فى الفكر، الذى يؤدى إلى السقوط فى الفعل بدرجاته المختلفة. لذا، أراد المسيح قطع الخطية من جذورها، وهو النظر، موضحا أنه يعتبر زنا، حتى لا يتهاون أحد فى نظرته أو أفكاره أو عواطفه، ويظن هذا شيئا عاديا، وإلا سيتمادى ويعتبر حتى اللمسات الشريرة عادية. وإن سقط فى الزنا الكامل، قد يعذر نفسه، فيُغلق باب التوبة أمامه، لتهاونه وتبريره للخطية.

أما أنت يا إنسان الله، فاهرب من التطلع بلا داعٍ حتى لا تسقط فى المناظر الشريرة، كما يهرب الإنسان من الثعبان أو العقرب.

ع29-30: حيث أن الإنسان، لضعفه، معرض للسقوط بالنظر أو الفعل، يقول المسيح: إن سقطت فى نظرة شريرة، فاقلع عينك اليمنى التى أعثرتك وأسقطتك فى خطية الزنا. وإن سرقت، فاقطع يدك اليمنى التى أعثرتك.

والمقصود هنا ليس المعنى الحرفى، لأنه، ما الفرق بين العين اليمنى واليسرى؟ إلا أن اليمين يرمز للقوة والأهمية، فيشير بهذا إلى الصديق القريب جدا أو الشهوة المحببة، أو أى شىء عزيز لديك مثل العين أو اليد، ينبغى الابتعاد عنه، والتنازل عن الارتباط به، حتى لا تسقط فى الخطية، ويكون مصيرك العذاب الأبدى.

افحص يا أخى مصادر سقوطك فى الخطية، سواء الزنا أو أية خطية أخرى، وتنازل وابتعد عنها مهما كانت غالية عندك، لتكسب خلاص نفسك وأبديتك.

**(7) الطلاق (ع 31-32):**

**31- "وقيل: من طلق امرأته، فليعطها كتاب طلاق. 32- وأما أنا فأقول لكم: إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى، يجعلها تزنى؛ ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى."**

ع31-32: "كتاب طلاق": يجلس الزوج مع أحد الكتبة، ويكتب محضر طلاق، فيعطى حرية للزوجة أن ترتبط بآخر.

كان العالم الوثنى يبيح الطلاق لأى سبب، خاصة اليونانيون الذين انتشر عندهم الفجور والزنا فى معابدهم. أما عند اليهود، فكان لابد أن يراجع نفسه، ويكتب كتاب طلاق، لعله يرجع عن قراره، إذا شعر أن امرأته ستكون لآخر، ويهدأ غضبه وضيقه.

أما المسيح، فيظهر عظمة سر الزيجة أنه اتحاد لا يمكن فصله، إلا اذا ارتبط أحد الطرفين بزنا، فحينئذ يكون قد فصل نفسه عن الآخر وقسم هذا الاتحاد. أما من يطلق امرأته لأى سبب آخر، يجعلها تزنى إذا ارتبطت بآخر، لأنها ما زالت أمام الله زوجته، والزوج الجديد يعتبر زانيا لأنه تزوج بامرأة غيره.

والمسيح هنا يعارض، ليس شريعة موسى المكتوبة فى (تث 24: 1) بإباحة الطلاق وكتابة كتاب بذلك، بل يُرجع الأمور إلى أصلها. فإن كان موسى قد اضطر، نتيجة اختلاط شعبه بالمصريين وتعودهم الطلاق، أن يضع حدودا لهم، بأن يراجع الإنسان نفسه ويكتب شهادة بذلك. ولكن، لم يكن هذا قصد الله حين خلق الإنسان ليتحد بالآخر فى سر الزيجة، عندما قال: "لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا" (تك 2: 24)، ولم يعط سماحا بالطلاق إلا فى حالة الزنا، لأنه يفصل بين جسدى الزوجين عندما يرتبط أحدهما بجسد آخر.

فلنقدّس سر الزيجة، لنرتفع عن أسباب الخلافات، ونحاول حلها بالإرشاد الروحى، والتوبة، والالتصاق بالكنيسة.

**(8) القَسَمُ (ع 33-37):**

**33- "أيضا سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تَحْنَثْ، بل أَوْفِ للرب أقسامك. 34- وأما أنا فأقول لكم: لا تحلفوا البتة، لا بالسماء لأنها كرسىُّ الله. 35- ولا بالأرض، لأنها موطئ قدميه. ولا بأورشليم، لأنها مدينة الْمَلِكِ العظيم. 36- ولا تحلف برأسك، لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء. 37- بل ليكن كلامكم: نعم نعم، لا لا. وما زاد على ذلك، فهو من الشرير."**

ع33: سمح الله قديما لشعبه أن يقسِموا (يحلفوا) باسمه، حتى يوجه قلوبهم لعبادته، وعدم القَسَم بالآلهة الوثنية.وما نهاهم عنه هو الحنث، أى القسم كذبا. ومعنى ذلك، تنفيذ ما أقسموا به، مثل النذور التى يجب الوفاء بها إذا ما نطق الإنسان بها، ووعد الله أن يتممها.

وكان الكتبة والفرّيسيّون يعلّمون أن القسم باسم الرب هو الذى ينبغى إيفاءه، أما القسم بأى شىء آخر فيمكن الرجوع فيه. وهذا طبعا تعليم خاطئ يقاومه المسيح هنا، ويصححه فى الآيات التالية، مُعلّما بعدم الحلف أو القسم مطلقا.

ع34-37: فى العهد الجديد، يكمل الناموس بالنهى عن القسم، لأن اسم الله أسمى من أن يقال لأجل معاملات مادية، بل يذكر للعبادة ومباركة حياتنا.

"كرسىُّ الله": السماء ترمز لوجود الله نظرا لسموها وارتفاعها، فتناسب سموه.

"موطئ قدميه": الأرض والأرضيات أدنى من السماء، لذلك دُعيت موطئا لقدمى الله.

ومن ناحية أخـرى، نحن لا نملك أى شىء فى العالم، بل نـحن وكلاء عليه، فكيف نقسم بشىء لا نملكه؟ الله وحده القادر على القسم، لأنه يملك كل شىء.

ويوضح المسيح أننا لا نملك حتى شعرة واحدة من رؤوسـنا، وعاجزين عن تغيير لونها. وبالتالى، لا يصح أن نحلف بحياة إنسان أو أى شىء من المخلوقات التى فى العالم؛ لذا يطالبنا أن يكون كلامنا بسيطا خاليا من القسم، أى لا نحتاج أن نثبته بالقسم، وتكون إجابتنا على الآخرين، نعم أو لا فقط.

"نعم نعم، لا لا": أى لا نستخدم القَسَم، ونعلن الحقائق أو موافقتنا على ما يقوله الآخرون بكلمة نعم، أو النهى ورفض ما يناسبنا بكلمة "لا"، دون الحاجة لإثبات ذلك بكلمات القَسَم.

"من الشرير": أى أن استخدام القَسَم هو من عمل الشيطان الشرير، فهو الذى أوجد الكذب والغش، ويدعو الناس للقَسَم إثباتا لكذبهم.

منع القَسَم يضبط الغضب، حتى لا يتمادى إلى قرارات ملزمة، بل هو سمة للمسيحيين فى براءتهم. والقسم ليس دليلا على الصدق، بل يستخدمه الأشرار فى الكذب للوصول إلى أغراضهم.

دقق فى كلماتك، فيكون فيها اسم الله للبركة، وابعد عن الكذب، وبالتالى لا تحتاج إلى إثبات أقوالك بالأقسام الباطلة. ولا تستهن باسم الله، أو حياة الناس فتُقسم بها باستهتار لمجرد التعود على ترديدها.

**(9) مقابلة الشر بالخير (ع 38-42):**

**38- "سمعتم أنه قيل: عين بعين، وسن بسن. 39- وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل، من لطمك على خدك الأيـمن، فحوّل له الآخـر أيضا. 40- ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك، فاترك له الرداء أيضا. 41- ومن سخّرك ميلا واحدا، فاذهب معه اثنين. 42- من سألك فأعطه، ومن أراد أن يقترض منك، فلا ترده."**

ع38: أراد الله فى العهد القديم تثبيت فكرة العدل الإلهى، والحاجة إلى الفداء، وإن أخطأ الإنسان يحتاج لإنسان مثله يفديه. فالعين تُفدَى بعين، والسن (مفرد أسنان) يُفدَى بسن مثله. ولأن الخطية غير محدودة، إذ هى فى حق الله، احتاجت لفداء غير محدود، أى بموت الله المتجسد، المسيح ألهنا.

وأراد أيضا بهذه الوصية "عين بعين، وسن بسن"، ألا يرد الإنسان على الشر بشر أعظم منه، بل يكفى أن يرد بشر مثلما أصابه.

هذه هى وصايا العهد القديم، لأن مستوى فهم الشعب لا يحتمل أكثر من هذا.

والإنسان فى نضجه الروحى، يتدرج فى ست درجات أمام الشر الذى يصيبه:

(1) الاعتداء على الغير بالشر، وهذا هو الأسلوب الهمجى.

(2) مقابلة الشر بشر أعظم، لأن الآخر بدأ بالشر.

(3) مقابلة الشر بشر مثله، وليس أكثر، كما فى الشريعة اليهودية.

(4) مقابلة الشر بشر أقل، وهذا فيه ضبط للنفس.

(5) عدم الرد على الشر، بل الصمت، وهذا ضبط كامل للنفس.

(6) مقابلة الشر بالخير، وهذا هو المستوى المسيحى، أعلى الدرجات.

ع39: ينبهنا المسيح إلى عدم اضطراب القلب، فيرد على الشر بشر آخر، لأنه إن امتلأ القلب بالمحبة، يلتمس العذر للآخر، فلا ينزعج من الإساءة الخارجية على الجسد، أى اللطمة.

وليس المقصود المعنى الحرفى فى اللطم، لأن الإنسان يُلطَم على خده الأيسر وليس الأيمن، إلا إذا كان الضارب أعسر، أى يستعمل يده اليسرى، فتقع اللطمة على الخد الأيمن. ولكن المقصود المعنى الروحى، وهو التسامح و الاحتمال، بل الاستمرار فى الاحتمال بقبول لطمة ثانية، أى إساءة ثانية.

ع40: يعطى مثالا آخر فى الاحتمال والتسامح، وهو إذا حدثت مشاجرة، وحاول الآخر اغتصاب ثوبك.

"الثوب": هو اللباس الداخـلى مثل جلباب، والشـريعة تقضى بألا يأخذه أحد لأنه غطاء الفقير (خر 22: 26-27).

"الرداء": هو العباءة الخارجية، وهو أغلى ثمنا.

وبذلك نقابل الظلم بالحب، وعطاء أكبر مما كان يريده الظالم، مهما كان الظلم شديدا، فيخجل الظالم ويهدأ غضبه. وهذا لا يمكن أن يتم إلا من قلب ممتلئ بالمحبة والشبع من الله، فيتنازل بسهولة عن الماديات، حتى لو ظن الآخر فى البداية أنه كسب شيئا منه واستغله، لكنه يقف مبهورا أمام هذا الحب العجيب، فهو بشارة صامتة تقدمها للأشرار حتى يتوبوا، واثقا من أن الله يعوضك أضعاف وأضعاف، ليس فقط فى السماء، بل وعلى الأرض أيضا، لأن وعده واضح: "ليس أحد ترك بيتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امراة أو أولادا أو حقولا لأجلي ولأجل الإنجيل، إلا ويأخذ مئة ضعف الآن فى هذا الزمان... وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية" (مر 10: 29-30).

ع41: السُّخرة: هى العمل بدون أجر. فإن أجبرك أحد على عمل، قدّم له خدمة أكبر، فتكسبه بمحبتك، وتنال بركات سمائية.

الميل الثانى: هو الحب، الذى تطفئ به شر وظلم الآخرين.

ع42: إن وجدت إنسانا محتاجا طلب منك، فأعطه. وهذا تنازل عن محبة المال، وإحساس بالآخر، وعدم النظر إليه كطامع، فقد يكون طمعه نتيجة إحساسه بالحرمان، فاحتمله.

وقد يكون خجلا من أن يستعطى منك، فيطلب قرضا وهو غير قادر على رده، فلا تطالبه، بل اتركه له كعطاء محبة منك.

وطبعا، كل هذا على قدر المحبة التى فى قلبك. فإن لم تكن قادرا على هذه المحبة، فعلى الأقل احتمله وسامحه. ولا تكن أنانيا شحيحا فى عطائك، لأن الله قال بوضوح: "طوبى للرحماء، لأنهم يُرحمون" (ع7).

إن آمنت بالحب، تستطيع أن تطفئ كل لهيب الشر فى المحيطين بك، فالحب أقوى من الكراهية. أشفق بمحبتك على الغضوبين والطامعين، فهم مرضى محتاجون للدواءٍ الذى هو الحب، سواء باحتمالهم والصلاة لأجلهم، أو التكلم معهم بلطف عوض كلماتهم السيئة، أو تقديم خدمات لهم؛ ولا تستطيع أن تحتملهم وتحبهم، إلا إذا امتلأ قلبك بمحبة الله.

فاهتم بعلاقتك الروحية بالله، واطلب معونته، فتستطيع أن تفيض حبا منه على الآخرين.

**(10) محبة الأعداء (ع 43-48):**

**43- "سمعتم أنه قيل: تحب قريبك، وتبغض عدوك. 44- وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسـنوا إلى مبغضيكم، وصَـلّوا لأجـل الذيـن يسـيئون إليكم ويطردونكم. 45- لكى تكونـوا أبنـاء أبيكـم الذى فى السماوات، فإنه يشـرق شمسـه عـلى الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين. 46- لأنه، إن أحببتم الذين يحبونكم، فأى أجر لكم، أليس العشارون أيضا يفعلون ذلك؟ 47- وإن سلمتم على إخوتكم فقط، فأى فضل تصنعون، أليس العشارون أيضا يفعلون هكذا؟ 48- فكونوا أنتم كاملين، كما أن أباكم الذى فى السماوات هو كامل."**

ع43: "قريبك": فى نظر الفرّيسيّين هو اليهودى، أما تفسير المسيح فهو كل إنسان كما فى مثل السامرى الصالح (لو 10: 30-37).

أمرت الشريعة فى العهد القديم بمحبة القريب، حتى يخرج الإنسان من أنانيته، ويحب أقرباءه والمقربين إليه.

"تبغض عدوك": هى إضافة من الفرّيسيّين لم تقررها الشريعة، ولعلهم استنتجوا هذا من أمر الله بإبادة الأشرار من أرض الميعاد، أى إزالة الشر.

ومع هذا، فالشريعة أقرت بمساعدة العدو إن وقع حماره تحت حمله (خر 23: 4-5). وأمرت أيضا ألا يكره الأدومى لأنه قريبه، ولا المصرى لأنه كان نزيلا عنده، مع أنهم من ألد الأعداء الذين أذلّوهم وحاربوهم (تث 23: 7).

ع44: مع النضج الروحى فى العهد الجديد، طالبت الشريعة بمحبة الأعداء، لأن طبيعتهم خلقها الله نقية، والشر الذى فيهم دخيل عليهم من إبليس. فلا ننظر إليهم كأشرار، بل كمرضى محتاجين للمحبة والشفقة، فنباركهم بالكلمات الطيبة، فتسكت كلمات الشر التى على أفواههم. وبعمل الخير معهم، تهدأ قلوبهم. ونصلى لأجلهم، حتى يرفع الله عنهم أفكارهم الردية، وبهذا نكسبهم لنا أصدقاء فى الإيمان والمحبة.

"باركوا": فلا تقتصر المحبة على المشاعر الداخلية، بل تخرج فى كلمات طيبة ومشجعة.

"أحسنوا": وترتبط المحبة أيضا بتقديم خدمات وإحسانات للساقطين فى قضية البغضة لنا.

"صَلّوا": وهى أقل درجة فى المحبة أو الوسيلة التى لا يمكن منعها، لأن من يعادينا قد يرفض الحديث معنا أو قبول خدماتنا، ولكنه لا يستطيع منعنا من أن نصلى إليه، مهما كان اضطهاده لنا.

ع45: "أبناء أبيكم": الله محبة، ودليل بنوتنا، أن نحب كل أحد بما فيهم الأشرار والمسيئين.

بهـذه المحبـة، نتشبّه بالله الذى أحبنـا ومات لأجلنا على الصليب، نحن الذين عصيناه وتحديناه وصلبناه.

والله مستمر فى عطائه لكل البشر، سواء المؤمنين به أو الرافضين إياه، فهو يشرق بشمسه على الكل، وأمطاره تروى الكل.

وقد استخدم الشمس والمطر لأجل نفعهما لكل البشر، ولأنهما فى السماء فيرمزان لعطايا الله العلوية.

إن كان الله ينير ويشبع الكل، فقدم محبتك لكل من تقابله، وَانْسَ ذاتك، محتملا الآلام لأجل المسيح، مهما أساء إليك الآخرون.

ع46-47: "العشارون": هم جامعو الضرائب الرومانية، ويتصفون بالطمع والقسوة، فكانوا أردأ جماعة فى المجتمع، ويرتبط اسمهم بالخطاة.

يعلن المسيح بوضوح أن محبتنا لمن يحبنا شىء عادى، يشترك فيه معنا الأشرار، الذين يمثلهم العشارون المتصفون بالقسوة والطمع. ولكن تميزنا كمسيحيين، هو أن نحب ونعطى السلام، ونعمل الخير مع من يسىء إلينا ويعادينا.

"سلّمتم": كانت الشريعة تقضى بعدم السلام على الأمم، وتقصره على اليهود، وبهذا يظهر قصور المحبة وعدم اتساعها لتشمل كل البشر، فأوصت شريعة العهد الجديد بمحبة الكل.

ع48: "كونوا أنتم كاملين": أى اسعوا نحو الكمال.

يؤكد المسيح أن هذا هو كمال المحبة، أى محبة الأعداء، فنصير أبناء الله الكامل، وهو يدعونا للسعى نحو الكمال الذى لا يمكن الوصول إليه تماما، ولكن الله يفرح بهذا السعى لأنه هو الكامل، فيكون هذا سعيا نحوه.

**الأَصْحَاحُ السَّادِسُ**

**تابع العظة على الجبل الممارسات الروحية التجرد**

**(1) الصدقة (ع 1-4):**

**1- "احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السماوات. 2- فمتى صنعت صدقة، فلا تصوّت قدامك بالبوق، كما يفعل المراؤون فى المجامع وفى الأزقة، لكى يُمَجَّدُوا من الناس. الحق أقول لكم، إنهم قد استوفوا أجرهم. 3- وأما أنت فمتى صنعت صدقة، فلا تعرّف شمالك ما تفعل يمينك. 4- لكى تكون صدقتك فى الخفاء، فأبوك الذى يرى فى الخفاء، هو يجازيك علانية."**

ع1-2: يتكلم المسيح هنا عن أركان العبادة الأساسية، وهى الصدقة والصلاة والصوم. ولعله يبدأ بالصدقة امتدادا لكلامه السابق عن تقديم المحبة وعمل الخير مع الكل، حتى الأعداء.

ويضع شرطا أساسيا لقبول الصدقة، وهى أن تكون من أجل الله، وليس بغرض أن ينظرنا الناس ويمجدوننا، لأنه إن نلنا مديح الناس، فليس لنا أجر عند الله. وقد كان المراؤون قديما لا يتصدقون بسبب محبتهم لله والمحتاجين، بل يتصدقون لمجدهم الشخصى، فيضربون الأبواق لكى يجتمع الناس وينظروا عظمة عطائهم فيمجدونهم.

"أبيكم الذى فى السماوات": يقصد الله الذى يسمو على أفكار المرائين الأرضية الزائلة، والذى نستعد لنكون معه فى الحياة الأبدية، وننال مكافأة حياتنا البارة على الأرض بالميراث السماوى الأبدى.

"المراؤون": من يُظهرون غير ما يُبطنون، فمظهرهم عمل الرحمة، وحقيقتهم الكبرياء وطلب مديح الناس؛ ويقصد هنا الكتبة والفرّيسيّين.

"فى المجامع وفى الأزقة": حيث يكثر الناس ليقدموا مديحا أكبر لهم.

ع3-4: الشمال: ترمز إلى العطاء لكسب مديح الناس.

اليمين: ترمز للبركة وطاعة الوصية، أى العطاء لأجل الله. ويقصد أيضا أن يكون العطاء فى الخفاء، حتى يكون مخفيا عن أقـرب الناس لنا، مثل قرب اليد من الأخـرى، حينئذ تكون الصدقة لأجل الله فقط، فننال المكافأة الأبدية، التى تكون أمام كل الخليقة، بل وأيضا يباركنا الله فى حياتنا الأرضية أمام الكل.

وليس معنى هذا أن لا يعطى الإنسان إذا كان هناك من ينظره، فلا نمنع العطاء بسبب عدم أمكانية إخفائه، ولكن ليكن لنا روح الخفاء، وعدم الانشغال برأى الناس.

اهتم بالمحتاجين الذين لا يستطيعون أن يطلبوا علانية، فهؤلاء المستورين قد يكونوا أحوج من الكل، واشكر الله الذى سمح لك أن تعطيه فى شكل هؤلاء المحتاجين.

**(2) الصلاة (ع 5-8):**

**5- "ومتى صَلّيت فلا تكن كالمرائين، فإنهم يحبون أن يصَلّوا قائمين فى المجامع وفى زوايا الشـوارع، لكى يظهروا للناس. الحق أقول لكم، إنهم قد استوفوا أجرهم. 6- وأما أنت فمتى صَلّيت، فادخـل إلى مخدعـك وأغلق بابك، وَصَلِّ إلى أبيك الذى فى الخفاء، فأبوك الذى يرى فى الخفاء، يجازيك علانية. 7- وحينما تصَلّون، لا تكرروا الكلام باطلا كالأمم، فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يُسْتَجَابُ لهم. 8- فلا تتشبهوا بهم، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه."**

ع5-6: لم يحدثنا المسيح عن تفاصيل الصلاة الفردية أو الجماعية، بل ترك هذه التفاصيل للكنيسة، ترتبها بروحه القدّوس.

وقد تحدث عن جوهر الصلاة، أن تكون صلة حب شخصية بين الإنسان والله. فكيف تستعرضها أمام الناس لتنال مجدهم، سواء فى أماكن يزدحم فيها الناس، مثل المجامع فينظرك المجتمعون، أو فى زوايا الشوارع لكى ينظرك الآتين من الشوارع المختلفة؟ بهذا ستنال مجد الناس، وتخسر المكافأة الأبدية.

لذا، ينبغى لأولاد الله أن يصلّوا فى الخفاء، ويغلقوا الأبواب حتى لا يراهم أحد. والمقصود أبواب القلب قبل الأبواب المادية، لأنه لو دخل الإنسان مخدعه، وقلبه يود أن يعلم الناس أنه بالداخل يصلى لكيما يمجدوه، فلن ينال بركة الله. وليس معنى هذا أن يتشكك الإنسان إذا نظره أحد وهو يصلى، سواء فى حجرته الخاصة أو فى الكنيسة أو فى أى مكان، ولكن المهم أن قلبه لا يكون مشتهيا أن ينظره الناس ويمجدوه.

ع7-8: كان البعض قديما فى العبادات الوثنية ثم عند اليهود، يقرأون الصلوات ويكررونها مرات كثيرة، ظنا منهم أنه بكثرة التكرار تستجاب الصلاة، فهذا تكرار باطل لا يفيد شيئا. ولكن التكـرار السليم، هو الإلحـاح على الله بتضرع وإيمان، أى يفهم الإنسان ما يقوله، وليس مجرد تكرار الشفاه.

ويؤكد المسيح أن الله يعلم احتياجاتنا، فلا يفيد التكرار فى شىء، وكأن الله غير سامع. إن كل ما ينتظره منا، هو الإقبال إليه، وفتح قلوبنا له. فإذ نُظهر بنوتنا وتمسكنا به، يفيض علينا بمراحمه؛ فالله منتظر أن نسأله، لأنه يحبنا، ويعلم احتياجنا، ويود أن يعطينا إذا أحببناه وطلبنا منه.

إذا انشغلت برأى الناس فيك أثناء الصلاة، واستحسنوا كلماتك، فقد نلت مكافأتك على الأرض، ولا تنفعك هذه الصلاة شيئا أمام الله. فافتح قلبك فى حجرتك الخاصة، أو بعيدا عن العيون، لتعبر عن كل مشاعرك بالكلمات والدموع والسجود، فيتعزى قلبك بنعمة الله الذى يسمعك ويفرح بصلاتك.

**(3) الصلاة الربانية (ع 9-15):**

**9- "فصَلّوا أنتم هكذا: ’’أبانا الذى فى السماوات، ليتقدس اسمك. 10- ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض. 11- خبزنا كفافنا أعطنا اليوم. 12- واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا. 13- ولا تدخلنا فى تجربة، لكن نجنا من الشرير، لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد، آمين.‘‘ 14- فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم، يغفر لكم أيضا أبوكم السماوى. 15- وإن لم تغفروا للناس زلاتهم، لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم."**

ع9: قدّم لنا المسيح بنفسه المثال الذى نقتدى به فى كل صلواتنا، وهو الصلاة الربانية، التى نرددها كثيرا قبل وأثناء وفى نهاية صلواتنا.

وتشمل الصلاة الربانية ثلاث طِلبات من أجل تمجيد اسم الله، وهى طلبات حب لشخصه وتمتد لتجد كمالها فى الأبدية، ثم ثلاث طلبات أخرى من أجل احتياجاتنا المادية، لكى تعلمنا إكرام الله وتمجيده قبل أن نطلب شيئا لأنفسنا.

"أبانا": تبدأ هذه الصلاة بإظهار بنوتنا الخاصة لله، فندخل الصلاة بهذه الدالة، وأبونا هذا مرتفع عن كل خطية، فإن كنا أبناءه، فإننا نسلك فى نقاوة كسمائيين ونحن على الأرض. وهو ليس مرتفعا فى السماء المنظورة، بل ساكن فى قلوبنا التى تتطهر بالتوبة وبمحبته فتصير سماءً.

"ليتقدس اسمك": اسم الله يعنى الله كله، فاسم الشخص يدل على كل ما فيه. ونحن لا نطلب قداسة لله لأنه قدّوس فى ذاته، بل تقديسه فى نظرنا وفى حياتنا، أى تكون قلوبنا نقية ومكرسة له، فتصلح لسكناه، فنرفض كل شر بالتوبة، ونهيئ قلوبنا للصلوات والتأملات وكل عمل خَيِّر.

ع10: "ليأت ملكوتك": الله هو مالك كل شىء فى العالم، ولكننا نطلب أن يملك على قلوبنا، لنتمتع بأبوته ورعايته وحبه. وبهذا، نطرد كل خطية مسيطرة علينا، وكل تعلّق أرضى.

وهى تعنى أيضـا اشـتياقنا للملكوت السماوى فى الأبدية، حيث يملك الله بلا عائق على قلوبنا ويكمل فرحنا.

"لتكن مشيئتك": إننا، كأولاد الله، نطلب مشيئته وليس مشيئتنا، لأن مشيئتنا معرضة للخطأ، أما مشيئته فدائما صالحة لمنفعتنا. وهو، بأبوته، يطلب خيرنا ووصولنا إلى أبديته السعيدة.

"كما فى السماء كذلك على الأرض": الملائكة فى السماء يخضعون لله، ونحن نود أن نطيع كلامه على الأرض كما يطيعونه فى السماء، فهناك يبطل الصراع بين الجسد والروح، فيحيا الإنسان فى تمتع دائم بالله. لذا، نتمنى أن تتحول حياتنا الأرضية إلى حياة سمائية، يتفق فيها الجسد مع الر وح فى محبة الله وخدمته.

والسماء أيضـا ترمـز للقداسـة، فكما يحيـا القديسـون طالبين مشيئة الله، نـود نحن أيضا أن نتشبّه بهم.

والسماء تشير روحيا إلى الإيمان، حيث يسعد المؤمنون بالحياة مع الله؛ فنطلب أن تؤمن كل الأرض بالله فتصير سماءً.

ع11: "خبزنا كفافنا": وتترجم أحيانا "خبزنا الذى للغد" أو "خبزنا الآتى" أو "خبزنا الجوهرى".

"كفافنا": الخبز الذى يكفينا اليوم، ولا نقلق أو ننشغل بالمستقبل.

خبزنا الذى للغد أو الآتى: أى الطعام الروحى السماوى، نحتاج أن نذوقه من الآن على الأرض.

الجوهرى: أى الطعام الروحى، وهو الأهم، تمييزا له عن الطعام المادى الزائل.

وكل هذه الترجمات تعنى فكرة روحية واحدة، وهى: أعطنا خبزنا الضرورى، أى:

(1) احتياجاتنا المادية الضرورية التى تكفينا اليوم، ولا نهتم بالغد إذ نثق فى رعايتك، وأنك ستكفى احتياجاتنا دائما، فينشغل قلبنا بالانطلاق فى محبتك.

(2) كلمة الله من خلال الكتاب المقدس، والصلاة والتسبحة، فهى تشبعنا أكثر من الطعام المادى.

(3) التناول من الأسرار المقدسة، سواء بتناوله يوميا، أو الإحساس به إن كنا نتناوله على فترات أطول (أسبوعيا مثلا).

نتعلم من كل المعانى السابقة، سواء الخبز المادى الذى نشعر بحلاوته لأنه عطية الله السماوى لنا، أو الإحساس بالمسيح معنا يوميا من خلال وسائط النعمة والأسرار المقدسة، أن هذه كلها عربون الملكوت الذى نذوقه على الأرض لنشتاق إلى السماء.

ع12: طلب غفران الخطية، هو اعتراف واضح بأننا خطاة نقدم توبة أمام الله، واثقين من غفرانه، ومحبته التى لا ترفضنا.

وتعنى أيضا ضعفنا واحتياجنا المستمر للغفران، لأننا، وإن كانت طبيعتنا قد تجددت فى المعمودية، معرضين للسقوط فى الخطية كل يوم، فننال الغفران فى صلاة التوبة وسر الاعتراف.

وتضع الصلاة الربانية شرطا لنوال الغفران، وهو محبة الآخرين والتسامح وغفران خطاياهم، لأنه من غير المعقول أن ينال قاسى القلب غير المتسامح، والديان لغيره، غفرانا من الله.

فإن كان الله مستعد أن يغفر خطايانا فى حقه، وهى خطايا غير محدودة إذ أنه غير محدود، فبالأولى نغفر نحن لإخوتنا خطاياهم فى حقنا، لأنها خطايا محدودة، إذ أننا محدودون.

فعندما تغفر لغيرك تربح الأكثر، وهو غفران الله لخطاياك غير المحدودة. وغفرانك هذا لأخيك ينقى قلبك لتستحق غفران الله، ولكن يحتاج منه أن يتوب لينال غفران الله.

ع13: "لا تدخلنا فى تجربة": عبارة تعنى اتضاع الإنسان وشعوره بضعفه، فيطلب من الله أن يُبعد عنه التجارب. ولكن، إن سمحت مشيئة الله أن يمر الإنسان بتجربة، فليطلب من الله، قائلا:

"لكن نجنا من الشرير": أى لا تسمح لإبليس أن يسيطر علينا، ولا تتخلى عنا فنسقط فى التجربة، لكن بمعونتك، نحتملها ونخرج أنقياء منها، بل نزداد فضيلة. فالتجربة الحقيقية ليست مجرد الضيقة، بل السقوط فى الخطية والابتعاد عن الله، وهذا ما نطلب أن يحمينا الله منه.

ثم يختم الصلاة الربانية بتمجيد الله، معترفا، قائلا: "لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد، آمين".

"الملك": أى يملك على القلب كما طلب سابقا.

"القوة": اعتراف بقوة الله القادرة على استجابة صلاتنا.

"المجد": فهو مستحق التمجيد والإكرام كل حين.

وهذا الاعتراف معناه الخضوع لله، ليس بالشفاه فقط، بل بالعمل أيضا.

والطلبات الثلاثة الأخيرة تختص بحياتنا على الأرض، لأننا فى السماء لا نحتاج لطعام مادى، أو لعربون الملكوت، لأننا نكون قد وصلنا إليه، ولا توجد خطية، فلا نحتاج إلى غفران، ولا توجد تجربة أو شيطان نخشاه.

ع14-15: من أجل أهمية محبة الآخرين،يكرر الله ضرورة الغفران والتسامح معهم، وإلا فقدنا كل بركات الصلاة الربانية ومحبة الله لنا.

ولأهميتها، يكررها مرتين فى هذين العددين.

ليتك تعى معانى هذه الصلاة عندما ترددها كل يوم، فتدخل بدالة البنوة إلى الله وتطلب مجده، وتعلن اشتياقك له. ثم، باحتياج الابن، تطلب كل ما تريد واثقا من محبته.

**(4) الصوم (ع 16-18):**

**16- "ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين، فإنهم يغيّرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين. الحق أقول لكم، إنهم قد استوفوا أجرهم. 17- وأما أنت فمتى صمت، فادهن رأسك واغسل وجهك. 18- لكى لا تظهر للناس صائما، بل لأبيك الذى فى الخفاء، فأبوك الذى يرى فى الخفاء، يجازيك علانية."**

ع16: "متى صمتم": كما أن الصدقة والصلاة أمران ضروريان، كذلك الصوم أيضا. ويتحدث هنا عن كيفيته، أما تنظيم الأصوام الجماعية فتركها للرسل والآباء القديسين فى الأجيال الأولى.

"عابسين": كان الكتبة والفرّيسيّون إذا صاموا لا يغسلون وجوههم، ويضعون الرماد على رؤوسهم حتى يظهروا صائمين أمام الناس، فينالوا مديحهم.

"استوفوا أجرهم": أى أن صومهم بلا قيمة أمام الله.

ع17: على العكس، أظهر المسيح أهمية إخفاء الصوم، لأنه علاقة حب شخصية بين الإنسان والله، فهو يترك شيئا من أجله. لذا طلب أن يكون شكل الإنسان عاديا، غير عابس، أى وجهه مغسول، وشعره مدهون.

ومن الناحية الروحية، يرمز غسل الوجه للنقاوة من الخطية بالتوبة، ودهن الشعر للفرح بعشرة الله والممارسات الروحية أثناء الصوم.

ع18: يؤكد هنا على أهمية المكافأة الإلهية للصائمين، بالبركات على الأرض، ثم الحياة الأبدية، كما يحدث مع المصلين والمتصدقين.

وأنت إذا ظهر تذمرك على الصوم أو أية عبادة روحية، فقد أضعت مكافأتك السماوية. فاهتم بإخفاء صومك قدر ما تستطيع، لأنه علاقة حب بينك وبين الله. ولكن، إن عرف أحد أنك صائم، فلا تضطرب، لأنك لم تسعَ إلى ذلك.

**(5) الكنوز السماوية والأرضية (ع 19-21):**

**19- "لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون. 20- بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون. 21- لأنه حيث يكون كنزك، هناك يكون قلبك أيضا."**

ع19-20: يحـذرنا المسـيح من وضـع رجاءنا فى الأرضيات، فنسقط فى محبة التملّك، لأن كل الممتلكات تتعرض للفساد، إما بفعل الحشرات والصدأ وعوامل الزمن، وإما أنها معرضة للسرقة من اللصوص، فهى متقلبة وزائلة؛ فكيف يكون رجاء الإنسان متقلبا وزائلا؟!

ويدعونا على الجانب الآخر الإيجابى، أن تكون كنوزنا فى السماء، بعيدا عن أى تقلّب أو زوال، وذلك ببذل الجهد فى العبادة المقدسة وأعمال الرحمة.

وليس معنى هذا أن الادخار والتوفير لأجل احتياجات الإنسان والمشاريع المختلفة يُعتبر خطأً، ولكن الخطأ فى تعلق القلب بالمال والاعتماد عليه.

ع21: يدل المكان الذى تكنز فيه على شهوة قلبك وانشغالك، فإن كان كنزك سماويا، فإن قلبك متجه للسماء، وبالتالى فإن قلبك يحركك لتنمو وتتقوى روحيا، وتصل للملكوت. والعكس، فإن كنت أرضيا، أى كنوزك فى الأرض، فمصيرك الهلاك.

تغلّب على الماديات وتغيّرها حتى لا تعتمد عليها، فتستخدمها بلا تعلّق، مكتفيا بما عندك، سواء كان كثيرا أو قليلا، شاكرا كل حين على نعم الله، واثقا أن ما عندك هو احتياجك المناسب الذى أرسله الله لك. وإن كنت تريد شيئا آخر، فاطلب منه، ولكن باتكال وقبول لمشيئته؛ أى إن أرسل لك فاشكره، وإن لم يرسل فاشكره أيضا متمتعا بما هو أهم، وهو محبتك له.

**(6) النظرة البسيطة (ع 22-23):**

**22- "سراج الجسد هو العين، فإن كانت عينك بسيطة، فجسدك كله يكون نَيِّرًا. 23- وإن كانت عينك شريرة، فجسدك كله يكون مظلما؛ فإن كان النور الذى فيك ظلاما، فالظلام كم يكون؟!"**

ع22: يقصد بالعين، ليس فقط العين الخارجية، بل الداخلية أيضا، أى القلب. فإن كانت بسيطة، أى ترى الأمور كما هى، كما يراها الله، ولا ترى الشر، أى ترى كل ما هو صالح، ولا تلتمس الأعذار فى الأخطاء وتبتعد عنها، فإن الجسد، أى الأعمال، تصير نَيِّرَةً، أى صالحة.

ع23: إذا نظرنا لأخطاء لندينها، نتعرض للسقوط، وبهذا تكون أعمالنا خاطئة، أى مظلمة. فالعين هى مدخل الصالحات إلى الجسد، أى هى التى ترى الله فى الأمور المحيطة بها، فتقود الجسد لأعمال الخير. أما إذا كانت العين نفسها شريرة، فستُدخل شرورا جديدة إلى الإنسان، وتصير خطاياه قبيحة جدا.

اسأل نفسك كيف ينظر المسيح إلى الأمور لو كان مكانك، حتى تستطيع أن تراها على حقيقتها بدون أغراض شخصية أو أفكار خاطئة، فلا تضلل نفسك.

ابحث عن كل ما هو حسن فيما حولك واشكر الله عليه، وإن رأيت أخطاء فى الآخرين، صَلِّ لأجلهم حتى يصلح الله ما فيهم ويكمل نقائصهم، وهكذا لا ترى إلا الله فى المحيطين بك، سواء خيرا فيكون منه، أو شرا فيصلحه.

**(7) محبة المال (ع 24-34):**

**24- "لا يقدر أحد أن يخدم سيدين، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخـر؛ لا تقدرون أن تخدمـوا الله والمال. 25- لذلك أقول لكم، لا تهتموا لحياتـكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام، والجسد أفضل من اللباس؟ 26- انظروا إلى طيور السماء، إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوى يقوتها. ألستم أنتم بالحـرى أفضـل منها؟ 27- ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة؟ 28- ولماذا تهتمون باللباس؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو، لا تتعب ولا تغزل. 29- ولكن أقول لكم، إنه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها. 30- فإن كان عشب الحقل الذى يوجد اليـوم ويطرح غدا فى التنور، يُلبسه الله هكذا، أفليس بالحـرى جدا يلبسكم أنتم يا قليلى الإيمان؟ 31- فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس؟ 32- فإن هذه كلها تطلبها الأمم، لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها. 33- لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره، وهذه كلها تزاد لكم. 34- فلا تهتموا للغد، لأن الغد يهتم بما لنفسه، يكفى اليوم شرّه."**

ع24: يقصد بالمال هنا، كل المقتنيات التى فى العالم، من طعام ولباس وأى شىء مادى نستخدمه ونشتريه بالمال.

وإن كان المال بركة من الله، فإن التعلق به يجعلنا مستعبَدين له، وننفصل عن عبادة الله. لا يمكن الجمع بين المحبتين، فإما أن نحب الله، وإما أن نحب العالم والماديات التى فيه. وعندما نحب الله، نستخدم كل طاقاتنا لمجد اسمه، أما إذا أحببنا المال، فتتجه حياتنا كلها لجمعه والتلذذ به.

ع25: يوضح لنا الله أهمية الحياة معه، فلا نخسر حياتنا ونوجهها لاقتناء الطعام واللباس، بل على العكس، نكتفى بأقل ما يمكن منها، لنتفرغ للحياة مع الله والتمتع بها بين يديه، مقدمين دليلا على ذلك، وهو أن حياتنا نفسها أفضل من هذه الماديات الزائلة. والله الذى منحنا هذه الحياة وهذا الجسد، قادر بالطبع أن يهبنا ما هو أقل أهمية، وهو احتياجاتها.

ع26-27: يدعونا الله للاتكال عليه، ويقدم دليلا ثانيا، هو النظر إلى طيور السماء التى تنطلق تغرد بتسبيحه، دون أن تقلق لأجل احتياجاتها الجسدية والتخزين للمستقبل، فالله يقوتها يوما فيوما.

وبالطبع، الإنسان، رأس الخليقة، يهتم به الله ويعطيه احتياجاته إذا اتكل عليه.

ثم يقـدم دليـلا ثالثـا، هـو: ماذا اسـتفاد المهتمون بالأمور المادية، هل استطاعوا أن يزيدوا طولهم ذراعـا واحـدة (حـوالى 50 سم)؟ فالله هـو الذى يعطى طـول الجسـد وشـكله، ويحفظه إذا اتكلنا عليه.

ع28-30: يعطينا الله دليلا رابعا يدعونا للاتكال عليه، وهو التأمل فى زنابق الحقل، أى أنواع الأزهـار المختلفة التى لها أشـكال جميلة جدا، يحاول الإنسان تقليدها فى أشكال ملابسه، ولكنه لا يصل إلى جمالها، فسليمان الملك، رغم عظمته وكثرة أمواله، لم تصل ملابسه إلى جمال هذه الأزهار، مع أنها مجرد أعشاب تنمو لبضعة شهور ثم تذبل وتُحرَق بالنار فى التنور، أى الفرن.

فكم هى قيمة الإنسـان فى نظر الله؟... إنها أعظم بكثير، والله يهتم أن يلبسه ويكفى احتياجاته. فإن آمن بالله، مهما كانت موارده أو أعماله قليلة، فسيدبر الله احتياجاته، كما يعطى جمالا للزهور التى لا تستطيع أن تنقب (تحفر) أو تغزل، فيعطيها منظرا منقوشا جميلا، أفضل من كل الثياب المغزولة بيد بشرية.

ع31-33: خلاصة القول، لا تهتموا باحتياجاتكم المادية كما يفعل باقى البشر، ولكن اطمئنوا أن الله، أبوكم السماوى، يعلم احتياجاتكم وسيوفرها لكم، واهتموا أنتم فقط بطلب أن يملك الله على قلوبكم وتتمتعوا بعشرته، واثقين أن باقى الأمور من السهل جدا أن يوفرها الله لكم، أفضل من أن توفروها بانشغالكم الكثير؛ على أنه يجب علينا القيام بواجباتنا وعدم التكاسل.

ع34: يُستنتَجُ من هذا أن نعمل واجباتنا اليومية، ولا ننشغل بالمستقبل وأتعابه (أى شرّه)، حتى يتفرغ القلب للتمتع بالله اليوم، وهو سيدبر الغد.

انظر كم من الوقت تقضيه فى الاهتمام بالماديات، وكم من الوقت تنشغل بالوجود مع الله؟

لا تنس أن هدفك هو الله، فرتب يومك ليكون لله الأولوية، بل فى كل شىء تعمله، انظر أن يكون مرضيا لله، وكذا كلامك وأفكارك.

وليكن لك الطموح الروحى والأفكار البناءة، واثقا من تدبير الله لاحتياجاتك، وحمايته لك.

**الأَصْحَاحُ السَّابِعُ**

**تابع العظة على الجبل عدم الإدانة العمل بالوصية**

**(1) عدم الإدانة والتمييز (ع 1-6):**

**1- "لا تدينـوا لكى لا تدانـوا. 2- لأنكم بالدينونة التى بهـا تَدينون تُدانون، وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم. 3- ولماذا تنظـر القـذى الذى فى عين أخيك، وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها؟ 4- أم كيف تقول لأخيك: دعنى أخرج القذى من عينك، وها الخشبة فى عينك؟! 5- يا مرائى، أخرج أولا الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك. 6- لا تعطوا القُدْسَ للكلاب ولا تطرحوا دُرَرَكُمْ قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها، وتلتفت فتمزقكم."**

ع1-2: ينبهنا ربنا يسوع المسيح إلى عدم إدانة الآخرين، أى الضيق من أخطائهم، متناسين أننا خطاة مثلهم، ونستحق أن يديننا الله. ولكن بالاتضاع، ننال غفران الله. فإذ نلتمس العذر للآخرين ونرحمهم، فيرحمنا الله أيضا ويغفر لنا خطايانا.

فالإدانة إذن هى، ليست فقط عدم التوبة، وعدم محبة للآخرين، بل تعدٍ على سلطان الله الديّان، فنأخذ مكانه وندين الآخرين.

وتحمل أيضا كبرياء فى القلب، واحتقار للخاطئ. وليس معنى عدم الإدانة عدم التمييز، بل علينا أن نميز الخطية، ونصلى لأجل الخاطئ، ونحبه ونلتمس له العذر ونشفق عليه بأبوة، ولكن نبتعد عن خطيته ونوبخها قدر ما نستطيع، فنفصل بين الخطية والخاطئ، أى نكره الخطية ونحب الخاطئ.

"الكيل": هو وعاء لقياس حجم الحبوب، والمقصود هنا الوعاء الذى نملأه إدانة ونصبه على الآخرين، يُصَبُّ علينا أيضا بنفس الوعاء، دينونة من الله، وهو يسمح فى أحيان كثيرة أن نقع فى نفس الخطية التى ندين فيها غيرنا، حتى نتوب ونتضع.

ع3-5: "القذى": قش أو تبن صغير، ويرمز للخطية الصغيرة.

"الخشبة": قطعة خشبية أكبر بكثير من القذى، تحجب الرؤية، وترمز للخطية الكبيرة.

يشبّه المسيح خطية الآخر بالقذى فى عينه، أما خطيتى فبخشبة فى عينى، فيلزم التوبة أولا لنزع الخشبة من عينى، فتتنقى حياتى، وبالتالى أستطيع بالمحبة وعمل الروح القدس، أن أرى القذى الذى فى عين الآخر، أى خطيته، وأساعده على التخلص منها.

أما إهمالى للخشبة فى عينى بعدم التوبة، ثم التطاول بإدانة الآخرين، متظاهرا فى رياء أنى أريد مساعدتهم فى إخراج القذى، وهو قش صغير جدا، من عيونهم، هو أمر غير معقول، لأنه كيف يرى الذى تحجب الخشبة عينيه قذى صغير فى عيون الآخرين؟!

الحقيقة أنه الكبرياء هو الذى يدفع لإدانة الآخرين, وعدم التوبة عن خطايانا.

خلاصة القول، اهتم بتوبتك كل يوم وَصَلِّ لأجل الآخرين إذا أخطأوا، والتمس لهم العذر.

ع6: ليس معنى البساطة والحب فى التعامل مع الآخرين، حتى لا ندينهم، أن نتحدث عن الأسرار المقدسة فى الكنيسة، وأعمال الروح القدس، أمام غير المؤمنين الذين لا يقدرون أهميتها.

وقد كانت الكنيسة قديما تغلق الأبواب بعد إخراج الموعوظين، فيبقى المؤمنون فقط الذين سيتناولون من الأسرار.

"الكلاب": ترمز للهجوم، فتمثل مقاومى الحق.

"الخنازير": فهى بعدم فهم، تدوس وتنجس كل شىء لقذارتها، فترمز لاحتقار الحق.

أى أن البساطة تقترن بالحكمة فى التعامل مع الآخرين.

ومن المقدسات أيضا، الاختبارات الروحية الشخصية، فلا تقال إلا لأب الاعتراف، أو دون ذكر الاسم، لنحتفظ باتضاعنا، ولا نعرّض هذه المعاملات الإلهية لعدم تقدير الآخرين.

يلزمك أن تميّز بين الحق والباطل، وبين الصالحين والأشرار، ولكن تقول الكلام المناسب فى الوقت المناسب، فلا تكلم مبتدئين عن أمور روحية عالية تجعل الحياة مع الله صعبة.

**(2) الطلب من الله (ع 7-12):**

**7- "اسألوا تُعْطَوْا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يُفْتَحْ لكم. 8- لأن كل من يسأل يأخذ، ومن يطلب يجد، ومن يقرع يُفتح له. 9- أم أى إنسان منكم إذا سأله ابنه خبزا يعطيه حجرا؟ 10- وإن سأله سمكة يعطيه حية؟ 11- فإن كنتم وأنتم أشرار، تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحرى أبوكم الذى فى السماوات يهب خيرات للذين يسألونه؟ 12- فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم، لأن هذا هو الناموس والأنبياء."**

ع7-8: الله، بمحبته الأبوية، يريد أن يعطينا كل شىء. ولكنه لا يعطى إلا لمن يقدّر العطية، ويظهر هذا التقدير فى طلبها من الله.

فالله يعطى عطايا عامة لكل البشر، مثل الشمس والهواء والماء... إلخ. ولكنه، بحبه، يريد أن يعطى أكثر من هذا. فإذا وَجَدَنَا متغافلين عن الصلاة إليه، يحفزنا لنسأله، فنأخذ منه... وإن تأخر فى الاسـتجابة ليمتحن إيماننـا، نطلب منه ونلح عليه، فنجد احتياجاتنا فيه. وإن ظل باب الله مغلقا ولا يستجيب، فإننا نقـرع حتى يفتح لنا، ونثق أنه حتما سيستجيب لكل من يُصلّون إليه، ما دامت صلواتهم بحسب مشيئته ولخيرهم.

ع9-11: يقـدم لنا المسيح دليلا منطقيا على محبته الأبوية. إن الأبوة البشرية تهتم بطلبات الأبنـاء، ولا يمكن أن تعطيهم عكس طلباتهم، ما دام الاحتياج حقيقيا وضروريا ومفيدا. فلا يعطى أى أب لابنه حجرا بدل الخبز، أو ثعبانا بدل السمك ليأكلهما.

فإن كانت الأبوة الجسدية لها هذه المحبة، فكم بالأحرى الله، مصدر الأبوة والحب، الذى يعطى الخيرات لأولاده الذين يثقون به، ويطلبون احتياجاتهم منه؟!

"أشرار": كل البشر، لأنهم يسقطون فى الشر، ولكن بالغريزة يهتمون بعطايا جيدة لأولادهم.

"أبوكم الذى فى السماوات": إظهار أن الله هو مصدر الأبوة والحنان.

"خيرات": أى عطايا جيدة يحتاجها أولاده.

"للذين يسألونه": المتمسكون بصلواتهم فى إيمان ولجاجة، ومتكلين على الله.

لا تَصْغِ لشكوك إبليس إذا تأخر الله فى الاستجابة لطلباتك، بل ألح عليه، واثقا من محبته، وأنه يعطيك فى الوقت المناسب ما هو لخيرك.

ع12: لكيما يستجيب الله لطلباتنا، ينبغى أن نعمل الخير مع الآخرين. فإن كنا نريد أن يعملوا الخير معنا، فلنبدأ نحن أولا بذلك؛ فمحبة الآخرين هى كمال الوصية والناموس.

عندما تقابل أى إنسان، ضع نفسك مكانه، وفكر ماذا ينتظر منك، حتى تقدم له ما يحتاجه من حب، أو ما ينتظره من اهتمام وتعاطف ومساندة. وإذا أساء إليك أحد، لا تتسرع فى الرد عليه أو إدانته فى قلبك، بل اشعر بظروفه لتلتمس له العذر وتحنو عليه ولو بصلاة فى قلبك.

**(3) الباب الضيّق (ع 13-14):**

**13- "ادخلوا من الباب الضيّق، لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك، وكثيرون هم الذين يدخلون منه. 14- ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة، وقليلون هم الذين يجدونه."**

يدعونا المسيح للدخول من "الباب الضيّق"، أى احتمال الآلام لأجل الملكوت. ويحذرنا من الباب الواسع والطريـق الرحب المريـح، أى الذى يوفر للإنسان ملـذات وشـهوات العالم المختلفة، لأنه يـؤدى إلى الهـلاك. ولكن للأسـف، من أجل إغراء شهوات العالم، يسير الكثيرون فى هذا الطريق المميت.

أما طريق الخلاص، فهو "الباب الضيّق"، الذى هو الصليب، والطريق الكرب، الذى هو احتمال الآلام، وهذا ما اجتازه المسيح لأجلنا.

"قليلون هم الذين يجدونه": ليس لأن طريق الخلاص غامض ومخفى عن العيون، لكن لأن الشهوات الشريرة ومشاغل العالم تبعد الناس عنه، فلا يجدونه.

لكيما نكون تلاميذ لمخلّصنا، لابد أن نحمل صليبه وراءه، أى نتنازل عن شهواتنا الشريرة بالتوبة، ونتجرد من انشغالات العالم، لنُفرِغ قلوبنا للاهتمام بمحبة الله، فيملك على قلوبنا الآن وإلى الأبد.

**(4) الأنبياء الكذبة (ع 15-20):**

**15- "احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة. 16- من ثمارهم تعرفونهم، هل يجتنون من الشوك عنبا، أو من الحسك تينا؟ 17- هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارا جيدة، وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارا ردية. 18- لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارا ردية، ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارا جيدة. 19- كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا، تُقطَع وتُلقَى فى النار. 20- فإذًا من ثمارهم تعرفونهم."**

ع15: "الأنبياء الكذبة": هم من يعلمون تعاليم غريبة عن الكنيسة، ويخدعون الناس بمظهرهم اللطيف، ولكن قلوبهم فى الداخـل وحشية قاسـية. يفكرون فى داخلهم ما هو لمصلحتهم، وليس لمجد الله كما يدعون؛ فينبهنا المسيح للابتعاد عنهم والثبات فى الكنيسة.

"ثياب الحملان": أى أنهم ذئاب لهم مظهر الحملان، ومعناه تظاهرهم بالتقوى والفضائل ليخدعوا البسطاء، ويبعدوهم عن الكنيسة واجتماعاتها، ويجعلوهم يرتبطون باجتماعات غريبة، ويخدعوهم بأن هذا هو التفسير الصحيح لكلام الله.

ع16-18: لنعرف حقيقة هؤلاء الأنبياء، ننظر إلى "ثمارهم"، أى طباعهم وأفعالهم، لأنه إن كان القلب قاسيا، فمهما تظاهر، ستُفضَح قسوته فى بعض المواقف.

"الشوك": يمثل عدم البركة والإساءة للآخرين، فلا يبذلون أية تضحية (المرموز إليها بالعنب الذى يُعصَر، فيعطى خمرا، أى فرحا)، فالأنانى القاسى لا يهتم بالبذل لأجل الآخرين.

"الحسك": هو نبات جاف يشبه الشوك فى ضآلته، لا يمكنه أن يعطى تينا.

ثمرة التين: مكونة من حبـات صغيرة اتحـدت معا بالحب داخـل غلاف واحد، فترمز للوحدانية والحب.

فالإنسان المنعزل فى أنانية وحده، لا يمكن أن يتحد بوحدانية حب مع الآخرين.

فمن الطبيعى أن الشجرة الجيدة، أى القلب المحب لله، سيعطى ثمارا صالحة. والعكس صحيح، فالإنسان الشرير سيفعل شرورا.

فلابد من تغيير القلب بالتوبة، لتصير الثمار صالحة.

ع19-20: "تُلقَى فى النار": كما أن العادة هى حرق الأشجار غير المفيدة، كذلك هؤلاء المعلمون الكذبة، لا ينتظرهم إلا العذاب فى النار الأبدية.

فإن تمـادى هؤلاء الأشـرار فى تعاليمهم المضـلة، سـتكون نهايتهم الهـلاك، أى النار الأبدية. فينبغى التدقيق قبل أن نتبع أى إنسان، ونتأكد من سلوكه وفضائله، وأنه ابن الكنيسة وخاضع للآباء الروحيين.

كن مميزا لمن حولك مع احتفاظك بمحبتك لهم. لا تنساق وراء تعاليم غريبة عن روح الكنيسة، أو تحضر اجتماعات ليس لها الصفة الرسمية والتبعية الكنسية، أو تستضيف أناسا لا تعرفهم بدعوى أن يحدثوك عن الله. اثبت فى كنيستك وأسرارك المقدسة واجتماعاتك الروحية، فتنمو فى معرفة الله ومحبته.

**(5) الأعمال الصالحة (ع 21-23):**

**21- "ليس كل من يقول لى: يا رب، يا رب، يدخل ملكوت السماوات، بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السماوات. 22- كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم: يا رب، يا رب، أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة. 23- فحينئذ أُصَرِّحُ لهم، إنى لم أعرفكم قط، اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم."**

"من يقول لى: يا رب، يا رب": أى ينتمى إلى المسيح وينادى باسمه، ولكن لا يطبّق وصاياه، وتكرار كلمة "يا رب"، تعنى تأكيد ارتباطهم الظاهرى بالمسيح.

"يفعل إرادة أبى": أى يطيع الله ويحفظ وصاياه، ويتبع تعاليم الكنيسة.

"ذلك اليوم": هو يوم الدينونة الأخير.

"لم أعرفكم": أى لم يعرفهم كبنين له، مرتبطين بالحقيقة به.

يُظهر المسيح نفسه كديّان عادل فى نهاية الأيام، يعرف أولاده الحقيقيين الخاضعين له، الذين يطيعون وصاياه. أما من ظنوا أن مواهب الله المعطاة لهم دليل على خلاصهم، فسيرفضهم الله ويلقيهم فى العذاب الأبدى، لأنهم لم يستخدموا مواهب الله مثل، التنبؤ أى التعليم الروحى، أو إخراج الشياطين، أو عمل المعجزات، ليتوبوا عن خطاياهم الشخصية ويلتصقوا بمحبة الله. فالموهبة ليست دليلا على خلاص الإنسان، بل ثمار الروح القدس، أى الفضائل.

كن أمينا فى استخدام عطايا الله لك، لتقودك للتوبة ومحبة الله وكل إنسان.

**(6) البناء على الصخر (ع 24-27):**

**24- "فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها، أشبّهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر. 25- فنزل المطر، وجاءت الأنهار، وهبت الريـاح ووقعت على ذلك البيت، فلم يسـقط، لأنه كان مؤسسـا على الصخـر. 26- وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها، يشبّه برجل جاهل بنى بيته على الرمـل. 27- فنزل المطـر، وجـاءت الأنهـار، وهبت الريـاح وصـدمت ذلك البيت فسقط، وكان سقوطه عظيما."**

ع24-25: يختتم المسيح عظته على الجبل بتأكيد أهمية العمل بوصاياه، وليس مجرد سماعها والإعجاب بها.

"عاقل": أى يفحص حياته ويدقق فى تصرفاته.

فمن يعمل بالوصية، يشبّهه برجل أراد أن يبنى بيتا يسكن فيه، فحفر فى الأرض وعَمَّقَ الحفر حتى وصل إلى الصخر، فوضع أساس بيته عليه، ثم بناه وارتفع به فى الهواء، فعندما أمطرت السماء بسيول عنيفة، وهجمت السيول كأنهار وصدمت هذا البيت، وكانت تصحبها رياح عاصفة، لم تستطع أن تزعزعه، لأنه كان مؤسسا على الصخر.

"الصخر": يشير إلى المسيح، إذ قال عن نفسه أنه هو حجر الزاوية (ص 21: 42)، وقال بولس الرسول أن المسيح هو الأساس الذى يُبْنَى عليه البيت الروحى (1كو 3: 11)، فيلزم وضع الأساس عليه، أى الإيمان به، لبناء حياتنا الروحية، ثابتين فى الكنيسة، جسده، ومتحدين به فى الأسرار المقدسة.

"المطر... الأنهار": ترمز للشهوات المادية.

"الرياح": ترمز للتجارب وحروب الشيطان.

إن قامت هذه علينا، فلن تستطيع أن تزعزع حياتنا، لأننا نطيع وصايا المسيح.

ع26-27: "جاهل": لا يريد أن يفهم أو يتعب فى الاهتمام بخلاص نفسه. فالذى يكتفى بمعرفة المسيح، ولا يريد أن يتعب فى تنفيذ وصاياه، يشبه من لا يريد التعب فى الحفر العميق، أى رفض حمل الصليب، والتعمق فى معرفة الله وتنفيذ وصاياه، إذ أنه محب للمظاهر.

"الرمل": يرمز لضعف الإيمـان، وكذلك كلام الهرطقـات المزيف، الذى يعـد الناس بالخلاص دون جهاد.

فإذ يرفضون التعب فى تنفيذ الوصية إذا قامت عليهم التجارب وحروب إبليس، يسقط كل بنائهم الروحى، ويبعدون عن الله، ويكون مصيرهم الهلاك الأبدى.

"عظيما": أى انهيار كامل للإنسان، وهلاك أبدى.

**(7) إعجاب الجموع (ع 28-29):**

**28- فلما أكمل يسوع هذه الأقوال، بهتت الجموع من تعليمه. 29- لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة.**

**"كمن له سلطان": لأنه هو الذى خلق الإنسان ويفهم أعماقه، وهو واضع الشريعة، ويصاحب كلامه قوة روحه القدّوس.**

كان تأثر الجموع بكلام المسيح فى هذه العظة شديدا، لأن كلام معلميهم من الكتبة والفرّيسيّين لم يكن بهذه القوة، أى قوة الروح القدس المؤثرة فى القلوب، إذ كان المسيح يتكلم بما هو مقتنع به ويحياه، فكان مؤثرا فى النفوس.

طبِّق ما تقوله فى حياتك قبل أن تُعَلِّم به غيرك، حتى يؤثر فيهم.